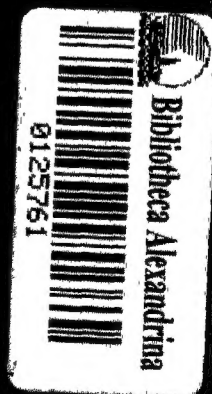
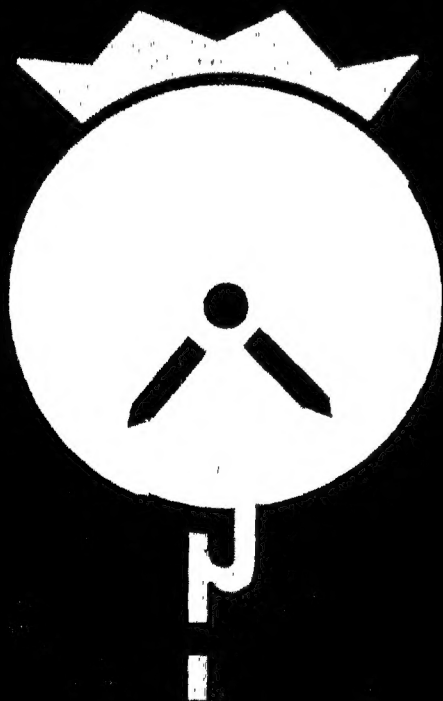


سَلَوَى العَنَانَى

مَوْعِد وَلَقَاء

موروثه

اقراء



اقرأ

تصدر أول مرة كل شهر

[٤٧٤] - أبريل - ١٩٨٢

رئيس التحرير أنيس منصور

سَلَوَى العَنَانِی

مَوْعِد وَلَقَاء

میرزا یونس



دارالمعارف

تصميم الغلاف للفنان : حسين بيكار

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع .

إلى العلم
والحب ..
والعطاء ..
إلى .. أجب

سعودي

موعد ولقاء .. لماذا ؟

موعدٌ ولقاء مع عشرات بل مئات الأعلام والمشاهير.. هذه هي حياة من حمل القلم وارتضى الكتابة الصحفية « مهنة » له .. وهو قد يختار هؤلاء الأعلام والمشاهير بنفسه وقد يطلب منه « الغير » شخصيات بعينها ليلتقى بها .

وبين دفتي هذا الكتاب الصغير ثمانية عشر لقاء مع أعلام احترتهم أنا لألتقى بهم .. بعض هؤلاء رحلوا عن عالمنا منذ قرون طويلة أو سنوات قليلة ، وبعضهم الآخر مازال يحيا بيننا .. وهؤلاء وهؤلاء التقيت بهم بعد موعد أوفى مناسبة .. التقيت « بأرسطو » بعد ثلاثة وعشرين قرناً من وفاته ، والتقيت بالفنان « مدحت عاصم » عندما منح جائزة الدولة التقديرية .

ولا أخفى على القارئ أن كثيراً من الإعجاب هو الذى أملى على اختيارى لهذه الشخصيات لهذا فقد سعيت إليها باللقاء ، أو سعيت إليها بين أوراق الذكريات والأبحاث ، ولا أخفى عليه كذلك أن إعجابى قد زاد بعد اللقاء ، بل إن عاطفة رقيقة نسجت خيوطها بينى وبين كل من التقيت بهم بعد أن استعرضت جوانب العبقرية فى شخصيته ، لهذا اخترت (الحب) علماً من بين هذه الأعلام فى محاولة

للاقتراب من هذه القيمة العظيمة التي ربطتني هؤلاء وبغيرهم من أعلام الفكر
الإنساني .

فإلى هؤلاء .. الخالدين منهم والذين يحيون بيننا .. أهدى كلماتي . لعلها تكون
لفتة وفاء ، عرفاناً بما قدموا إلينا ، من علم .. وفن .. وحب ..

سلوى العناني

العالم يحتفل بمرور ٢٣ قرناً على وفاة أرسطو *

العرب يجعلون من «أرسطو» معلمهم الأول
ويقدمونه لأوروبا بعد دراسة جديدة

يحتفل العالم هذا العام بمرور ٢٣ قرناً على وفاة المفكر اليوناني العظيم «أرسطو» ، فتنظم اليونان احتفالاً بهذه المناسبة في أغسطس ، تقام في أثنائه ندوة عن مؤلفات «أرسطو» وتاريخه وأثره على الفكر .

وكانت هيئة اليونسكو الدولية قد عقدت مائدة مستديرة في مقرها في باريس في الفترة من الأول وحتى الرابع من يونية سنة ١٩٧٧ حول فكر «أرسطو» وتاريخه وشارك في اللقاء خمسة وسبعون مفكراً من شباب وشيوخ الفكر الفلسفي في العالم ، وتزخر المكتبات بالعديد من المؤلفات والبحوث التي كتبت عن هذا العملاق بكل لغات العالم ، فقد ظل تأثير «أرسطو» على الفكر العالمي حتى بعد عصر النهضة والعصور التالية ، واضطر العلماء إلى الأخذ بأقواله في العلوم الطبيعية فضلاً عن الفلسفة ، فلم يكن سهلاً الاستغناء عن المصطلحات التي وضعها «أرسطو» ، كما يشهد كل النقاد والمؤرخين بأن آراءه في الشعر وفي المسرح الملحمي مازال معمولاً بها إلى يومنا هذا ، ولا يستطيع أى كاتب أن يغفل القواعد التي جاءت بها .

• يناير ١٩٧٨

تلميذ حتى الأربعين :

ولد «أرسطو» في عام ٣٨٤ ق.م في (ستاجيرا) من أيعال تراقيا (وهي إقليم يشغل الطرف الجنوبي من شبه جزيرة البلقان) ، وكان أبوه طبيعياً للملك مقدونيا ، وفي نحو الثمانية عشرة جاء «أرسطو» إلى أثينا ، حيث تتلمذ على يد «أفلاطون» . وظل يطلب العلم في (الأكاديمية) إلى سن الأربعين ، وهي سن متقدمة بالنسبة لفيلسوف مستقل الفكر كان يدرس على يد عملاق مثل «أفلاطون» ، ولا يعرف التاريخ فيلسوفاً آخر ظل يتلقى العلم من أستاذه في مثل هذه المدة .

وقد تأثر «أرسطو» بالروح التي سادت الأكاديمية في ذلك الحين - وإن لم يتأثر بكل التيارات التي وجدت بها - كما تأثر «أرسطو» بالناحية الطبيعية والفلكية ، وكانت أساس أبحاثه المقبلة خاصة وأنها تلائم اتجاه فكره الخاص . أما أخطر هذه الآثار عليه ، فكان تأثره بشخصية «أفلاطون» ، خصوصاً وأن «أفلاطون» كان يسير دائماً على أساس أن العلم لا يمكن أن ينفصل مطلقاً عن العمل ، لأن الإنسان لا يمكن أن يعرف العدالة - مثلاً - إلا إذا كان عادلاً . لذلك كانت شخصية أفلاطون قوية الأثر بشكل ملحوظ في عقول أبناء هذا الجيل الذي تتلمذ عليه .

معلم «الإسكندر» :

وبعد موت «أفلاطون» في عام ٣٤٨ ق.م غادر أرسطو أثينا وانتقل إلى آسيا الصغرى وقضى عدة سنوات متنقلاً بين بلدانها ومدنها إلى أن اختاره «الملك فيليب» ملك مقدونيا ليكون مربياً لابنه «الإسكندر» ، وهو الفارس الفاتح الشهير الذي لقب فيما بعد «بالإسكندر الأكبر» .

وفى هذه الفترة كتب «أرسطو» عديداً من المحاورات والكتب التعليمية ، وتميزت محاوراته بتفوقها من الناحية الفنية حتى قال عنها «شيشرون» المفكر الرومانى الشهير (إنها أنهار من الذهب) .
وقد أثرت هذه المؤلفات بشكل خاص فى الرواقيين أو الأفلاطونيين المحدثين حيث عدُّوها فى مرتبة لا تقل عن مرتبة محاورات «أفلاطون» نفسه من ناحية الشكل والمضمون .

ويرى بعض المؤرخين أن هناك اختلافاً كبيراً بين مؤلفات «أرسطو» المستورة وهى تضم المحاضرات التى قصد بها خاصة تلاميذه ، وبين مؤلفاته المنشورة والتى يقصد بها أن تكون محاضرات يحضرها الجمهور .

وتحتوى الكتب المنشورة على أقوال ومذاهب شعبية سائدة ومألوفة يستطيع العامة تفهمها ، كما تحوى عدداً من الأفكار الشائعة ، وهذه لا تنبر عن فكر «أرسطو» الحقيقى ، أما مؤلفاته المستورة فهى وحدها التى تعبر عن فكره الحقيقى لأنه أودع فيها مذهبه الخاص وكتبها فى شىء كثير من البيان والتحمسين اللغضى وبطريقة منطقية .

مؤسس الليسيه :

ولما تولى «الإسكندر المقدونى» عرش بلاده فى عام ٣٣٦ ق.م ترك «أرسطو» مقدونيا وعاد إلى أثينا وأسس (اللقبون) أو (الليسيه) وهى مدرسة خاصة به على غرار أكاديمية «أفلاطون» ، ولم تكن طريقته فى هذه الفترة قائمة على الحوار فقط ، وإنما شملت عدداً ضخماً من المحاضرات ، وكانت دروس الصباح تُخصّص للمسائل الفلسفية العالية الخاصة بالتلاميذ . أما دروس المساء فكانت فى الخطابة والشعر ، وكانت موجهة لجمهور أكبر وظهرت فى هذه الفترة عناية

« أرسطو » بالمسائل العلمية وكان معظم أساتذة (اللقيون) من غير الأثينيين بخلاف أكاديمية « أفلاطون » التي كان معظم أعضائها من الأثينيين ، وكان من عادة « أرسطو » أن يلقى دروسه على تلاميذه وهو يتمشى في حديقة معهده وحوله تلاميذه يحاذون خطواته ، فأطلق على هؤلاء التلاميذ (المشائين) ويقصد بهم تلاميذ أرسطو وحواريوه الذين يتمشون معه ويتعلمون منه ..

الملاحظة والتجربة والعقل :

وكان الاتجاه الجديد الذي أعطاه « أرسطو » للفلسفة اليونانية الهلينية هو الانتقال من الظواهر الخارجية أو الجزئيات ، إلى الكليات أو الماهيات . ولم يكن منهجه استنباطياً فقط ، بل أضاف إلى ذلك الاستقراء والملاحظة والتجربة ، وهو يرى أنه يوجد في كل نفس ملكة أو قوة هي العقل ، وهو الذي يدرك المبادئ الأصلية الأولية الفطرية ، لأن هذه المبادئ لا يمكن أن تُستخلص من المحسوسات .

« أرسطو » الفيلسوف :

يختلف « أرسطو » الفيلسوف عن كل أسلافه في كثير من الوجوه ، فهو أول من كتب بطريقة منهجية . فترى رسائله منسقة أجزاءً ، وأبحاثه مقسمة أبواباً ، وهو معلم محترف للمؤلفات النقدية ، والعالم عند « أرسطو » أنواع وأجناس ، يندرج فيه الأخص تحت الأعم ، فالإنسان نوع من الحيوان ، والحيوان بدوره نوع من الكائن الحى .

وقد عرّف « أرسطو » الفلسفة بأنها البحث في الوجود بما هو موجود ، ووفق إلى وضع الفلسفة بأقسامها الوضع النهائي . وكان يُسمى الفلسفة التي تبحث في

الوجود بما هو موجود (الفلسفة الأولى) ، وقد سُميت (الميتافيزيقا) أو ما بعد الطبيعة . تمييزاً لها عن الفلسفة الثانية وهي عنده العلم الطبيعي . وأسمائها كذلك (بالحكمة) لأنها تبحث عن العلل الأولى ، وأسمائها أيضاً بالعلم الإلهي من حيث أن موضوعها هو الموجود الأول والعللة الأولى للوجود .

ويقسم «أرسطو» العلوم إلى نظرية وعملية ، والعلوم النظرية أشرف من العلوم العملية ، لأن الأولى لا تهدف إلى تحقيق غايات عملية ، ويتمثل فيها كمال العقل ، وهو أسمى قوى الإنسان ، وقد أدت هذه النظرية إلى اعتبار الفلسفة الأولى (الميتافيزيقا) أو ما بعد الطبيعة (أشرف العلوم جميعها ، لأن كمال العلم عنده يكون بمقدار دنوه من النظر العقلي الخوض . وبعده عن مطالب الحياة ومنافعها . ويعتبر «أرسطو» الحياة العقلية غاية في ذاتها وبالتأمل الدائم والنظر العقلي الخالص يتحقق للإنسان سعادة ليس وراءها سعادة .

الهدف هو السعادة :

لقد حارب «أرسطو» القول بأن اللذة هي الغاية القصوى لأفعالنا الإنسانية واعتنق فكرة السعادة واستكمل بحثها حتى أصبحت مذهباً فلسفياً دقيقاً . وقال «أرسطو» إن ما يقصد إليه الناس جميعاً هو السعادة لتكون الغاية القصوى ، لحياتهم ، وكان يرى أن السعادة الحقيقية تقوم على مزاوله التأمل العقلي ، وهي توضع في عداد الأفعال التي تطلب لذاتها ولا تتخذ أداة لغاية أبعد منها .

أرسطو والعرب :

عرف العالم الإسلامي «أرسطو» أول ما عرفه عبر المدارس الفكرية الشرقية في

مراكز ثقافية هامة في حران ، ونصيبين ، والإسكندرية خلال القرنين السابقين على ظهور الإسلام . وبعد الإسلام بدأت ترجمة آثار «أرسطو» المترجمة إلى الفارسية والسريانية إلى اللغة العربية ، لكن العرب لم يقفوا عند هذه المصادر غير المباشرة ، وإنما بدءوا في أخريات القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجري في دراسة اللغة اليونانية وترجمة الآثار الفكرية اليونانية إلى العربية مباشرة ، وأرسلت البعثات لجمع المخطوطات اليونانية من أثينا ، واستنبول ، والإسكندرية ، وكان العرب جادين في حركة الترجمة فأنشئوا مدارس الترجمة وأغدقوا عليها ، ثم أنشئوا دار الحكمة في عام ١٥٠ - ٢٠٠ هجرية .

وبعد ترجمة هذه المراجع ، بدأ العلماء في مراجعتها وتصحيحها وتلخيصها وشرحها .

الجلد الأرسطي والتوحيد :

وكان أول المهتمين «بأرسطو» من المسلمين هم المتكلمون أو (علماء التوحيد) وأشهرهم المعتزلة الذين لفتوا النظر إلى ما تحتويه كتابات «أرسطو» من مادة تستحق القراءة والبحث ، خاصة ما يتعلق منها بالدراسة الطبيعية ، والبحث في نظام الكون ، وإثبات الألوهية ، والوصول إلى الوحدة عن الطريق العقلي . وأصبح الجدل باباً من أبواب دعم العقيدة الإسلامية ، وظهر بعد هذا مجموعة من المفكرين الذين ساروا في الخط الجدل ، وعرفوا باسم المشائين العرب ومن أهمهم «الكندي» في القرن الثالث الهجري ، «والفارابي» في القرن الرابع ، «وابن سينا» في القرن الخامس ، «وابن رشد» في القرن السادس .

وقد تأثر اللغويون العرب بما جاء في «كتاب العبارة لأرسطو» ، فقسموا الكلام إلى ثلاثة أقسام : الاسم والفعل والحرف .

ولم يقف أثر العلم والفلسفة العربية داخل بلادهم ، بل تعدت آثارهم إلى أوروبا المسيحية ، ولم يكن هذا الأثر وليد الحروب الصليبية كما يشاع ، بل كانت الصلة بين الغرب وفكر المشرق أولاً عن طريق الأندلس التي كان بها عديد من المراكز الثقافية والعلمية العظيمة ، مما جعلها قلة لطلاب العلم من كل أوروبا ، كما كانت مركز استشفاء هام . فبدأ في ترجمة العديد من الكتب العربية والعبرية إلى اللاتينية ، ومن أهم هذه المؤلفات ما كتبه « ابن رشد » عن « أرسطو » من شروح وملخصات ، وكانت هذه هي أول علاقة بين الفكر الأوربي « وأرسطو » عندما أخذوه عن العرب في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ثم بدعوا يبعثون عنه في الأصول اليونانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين .

مؤسس علم المنطق :

عندما مات « أرسطو » في عام ٣٢٢ ق. م ، كان قد وضع اللبنة الأولى لعديد من العلوم والمعارف في مؤلفاته التي يحصرها البعض في عشرين كتاباً . واستطاع هذا الفيلسوف اليوناني أن يثبت للعالم أن المعرفة الإنسانية - مهما تعددت فروعها - تنبع من معين عقلي واحد . فقد وضع قواعد علم المنطق والأخلاق والطبيعة وما بعد الطبيعة منذ ثلاثة وعشرين قرناً .. ومازال العلماء على اختلاف ألسنتهم وقومياتهم يعتبرون هذه القواعد هي أساسيات دراستهم وأبحاثهم .

ويذكر كل منهم بجانب هذا . ما لعلماء العرب المسلمين من فضل في التعريف بأرسطو وشرحه ودراسته .

العالم يحتفل بمرور ألف عام ميلادى على مولد « الشيخ الرئيس ابن سينا » *

«أقل ما يقال فى الرجل أنه لم يترك ثقافة بنى الإنسان كما
وجدها حين نشأ فى الدنيا فكان له فى توجيه العقول شأن
لوزال لزال معه شىء غير قليل من تراث المعرفة والتفكير»
(عباس محمود العقاد من كتابه الشيخ الرئيس ابن سينا)

بقدر ما يتميز علماؤنا فى العصر الحديث بالتخصص الدقيق فى فرع من فروع
علم واحد ، بقدر ما يتسم رواد العلم الأوائل بالموسوعية فى فروع دراستهم ، ودليلنا
على ذلك مئات الأسماء والعبقريات ، ويُعد اسم (ابن سينا) من ألمع هذه الأسماء
إن لم يكن ألمعها جميعها ، فقد ظلت مؤلفاته إلى عهد قريب مراجع للعلماء
والباحثين فى علوم الطب ، والمنطق ، والفلسفة ، والرياضيات ، والطبىعات ،
إلى جانب دراساته فى علم الأخلاق والفلك والموسيقى .

ولد « أبو الحسين عبد الله بن سينا » فى مدينة (بُخَارَى) بآسيا الوسطى فى عام
٣٧٠ هجرية (٩٨٠ ميلادية) وكان أبوه صرافاً ، وكان محبا للعلم والثقافة . فلما بلغ
ابنه السادسة من عمره عهد به إلى معلم يعلمه القرآن ومبادئ الأدب ، وشهد

• يناير ١٩٨٠ .

بالنبوغ والتفوق ، وكانت (بُخَارَى) دائماً قبله أنظار العلماء ومحط كثيراً ما كان يزورها هؤلاء ، وكلما سمع « ابن سينا » بواحد لزمه حتى ما عنده .

نارى (يوماً رجل اسمه (الناتلى) وكان يدعى المتفلسف فاستضافه والد في داره على أمل أن يتعلم الفنى منه قدر ما يستطيع ، فتعلم منه مبادئ الهندسة .

« ابن سينا » في تعلم الطب فعلمه نفسه ، وبرز فيه ، واشتهر بأنه كان ترددين عليه . وبدأ الأطباء يفتدون إليه للدراسة ، وهو بعد لم يبلغ ١٥ . ثم انقطع « ابن سينا » لدراسة المنطق والفلسفة ، ويقول عن نفسه حلة في ترجمته الذاتية :

ن في مسألة ، - ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس - ترددت إلى مليت وابتهمت إلى مبدع الكون حتى فتح لى المنغلق ويسر المتعسر ، بالليل إلى دارى وأضع السراج بين يدى ، وأشتغل بالقراءة بها غلبنى النوم ، أوشعرت بضعف ، عدلت إلى شرب قدح من بجا تعود إلى قوتى ، ثم أرجع إلى القراءة ، ومتى أخذنى نوم أحلم بتلك نها ، حتى أن كثيراً من المسائل اتضح لى وجودها فى المنام .

قرأ « ابن سينا » العديد من كتب الفلسفة ، بدأ فى قراءة كتاب « لأرسطو » ، ووجد صعوبة شديدة فى فهمه برغم أنه قرأه أربعين م فى يده كتاب « لأبى نصر الفارابى » فى شرح كتاب « أرسطو » فهمه واستيعابه .

: نوح بن منصور « سلطان (بُخَارَى) فطلب « ابن سينا » لعلاجه ، « ابن سينا » إليه وسمح له بدخول مكتبته التى انهر بها « ابن سينا »

لما فيها من كتب غريبة ونادرة ، فأخذ يقرأ فيها حتى أنهى على ما بها من كتب .
ولما بلغ « ابن سينا » واحداً وعشرين عاماً ، بدأ في التأليف بعد أن شعر بأنه
استوعب قدرًا كبيراً من العلم ، ثم بدأ يضيف إليه من أفكاره .
لكنه ما لبث أن فقد أباه وهو في الثانية والعشرين ، مما اضطره للعمل في
خدمة عدد من السلاطين في عصره ، فنقل بين الولاة وبين البلاد ، مما عرضه
للسجن والهرب أكثر من مرة حتى توفي في عام ٤٢٨هـ - ١٠٣٦م .
وبرغم كثرة الآثار العلمية التي وصلتنا منسوبة إلى « ابن سينا » ، فإن عدداً
كبيراً من كتبه ورسائله قد ضاع ، أو وقع في أيدي أعدائه فأعدمتهما غيره وحسداً .
ويعترف عدد من معاصري « ابن سينا » بفضلهم عليهم ، ومن هؤلاء
« البيروني » الذي قال عنه علماء أوربا إنه أكبر عقل ظهر في تاريخ الإنسانية ،
« وأبو سعيد بن أبي الخير » إمام المتصوفة ، « وابن مسكويه » الفيلسوف الأخلاق
المشهور ، « وأبو عبيد الجوزجاني » ، « وعمر الخيام » .
وأهم معجزات « ابن سينا » الصحيحة كما يقول الأستاذ « عباس محمود
العقاد » في كتابه عن « الشيخ الرئيس ابن سينا » هو كتاب « الشفاء » في الإلهيات
والطبيعات ، وكتاب (النجاة) وهو مختصر الشفاء ، وكتاب (منطق المشركين)
ويرى « العقاد » أن ألزم الكتب لمن يدرس « ابن سينا » هو كتاب (الإشارات)
وهو قسيان : قسم في المنطق ، وقسم في الإلهيات .
أما في الطب ، فعمدة كتب « ابن سينا » هو كتاب (القانون) الذي ظل
مرجعاً في جامعات أوربا لمدة تزيد على أربعة قرون .
ويقول « د . عاطف العراقي » ، أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة عن
« ابن سينا » :

لقد تأثر كثير من الأوروبيين الذين اشتغلوا بالعلم بما ذكره « ابن سينا » من

ملاحظات حول الحيوان والنبات والجبال والظواهر الطبيعية والصوت والضوء .
وكما أثرت كتابات « ابن سينا » في مجال العلم ، فإنها أثرت في الفلسفة في عدد
من المفكرين والفلاسفة الغربيين ، سواء في عصر النهضة أو العصر الحديث .
فترجم « يوحنا الأسباني » الجزء الخاص بالمنطق عن (كتاب الشفاء)
« لابن سينا » كما ترجم « جنديسالفي » الجزء الخاص بالطبيعات من (كتاب
الشفاء) مع الجزء الخاص بالنفس وبالإنهيات .

وكان لترجمة هذه الأجزاء من (كتاب الشفاء) أثر كبير في تشكيل وجهات
نظر فلاسفة الغرب إزاء المشكلات الفلسفية التي يبحثونها .

فقد تأثر « البرت الكبير » في القرن الثالث عشر الميلادي بآراء « ابن سينا » في
موضوع النفس الإنسانية التي اعتبرها جوهرًا يختلف في طبيعته عن الجسم . ومنها
أيضًا تفسير « ابن سينا » لكيفية صدور العالم عن الله تعالى . كما اعتمد
« البرت الكبير » في دراسته « لأرسطو » على كتب « ابن سينا » .

ويضيف « د . عاطف العراقي » مثالا آخر على تأثير مؤلفات « ابن سينا » على
مفكرى الغرب ، وهو « القديس توما الأكويني » فيقول :

(لورجعنا إلى مؤلفات « القديس توما » ، وخاصة تلك التي حاول فيها البرهنة
على وجود الله تعالى لوجدنا أنه قد تأثر بما قال « ابن سينا » في مجال البرهنة على
وجود الله . ومن هذه الأفكار التي يميز بين الوجود وواجب الوجود . فالوجود هو
العالم ، أما واجب الوجود فهو الله تعالى .

كما يتضح هذا التأثير في عديد من التيارات الفلسفية في العصر الوسيط
أو العصر الحديث ، خاصة وأن « ابن سينا » قد نجح في التوفيق بين الفلسفة
اليونانية والفلسفة الإسلامية .

ويضيف « د . عاطف العراقي » بأننا إذا عترفنا بفضل « ابن سينا » على فلاسفة

الغرب ، فإن أثره على علمائه واضح كذلك ، فنجد أن « روجريكون » عالم البصريات الكبير ، يُبدى إعجاباً كبيراً بآراء « ابن سينا » في مجال التجربة والملاحظة كوسائل في البحث العلمي .

مذهب « ابن سينا » :

قرأ « ابن سينا » كل ما وقع تحت يده من كتب ومراجع ومخطوطات ، وكان لذنه الصافي وقرينته المتوقدة أثر في استيعاب كل ما يقرأ ، وقبل أن يبدأ « ابن سينا » في التأليف كانت عقلته العلمية الفذة قد هضمت كل هذه القراءات ونقّتها ، ومع هذا وجدنا تقارباً في آرائه من بعض آراء من سبقوه ، أو تشابه وجهات نظره لبعض وجهات نظرهم . ويقول « الأستاذ العقاد » في هذا الموضوع : إن « ابن سينا » يشابه « الفارابي » في التوفيقات الدينية ويقارب « فرغوريوس » ، والأفروديسي في الرموز الصوفية ، كما يقارب « أرسطو » في التفكير المنطقي ، ويقارب « أفلاطون » في التزعة الفنية وفي الاستعانة بالأمثلة والرموز والأساطير لتوضيح ما يريد .

وهذا القرب يأتي من طريقين : الأول : تشابه مزاجها الفني وقوة ملكة الخيال عندهما ، والطريق الثاني : هو أن « ابن سينا » قرأ معظم ما كتب « الفارابي » وهو من المهتمين « بأفلاطون » .

مضى « ابن سينا » في دراسته للفلسفة بعد هذا الزاد الضخم من التراث الفكري الذي حصله ، ولم يكن لمذهبه الفلسفي من حدود غير العقيدة الدينية ، وهي صحيحة سليمة في جوهرها داخل نفسه .

وسنحاول أن نبسط بعض الأفكار الفلسفية التي ذكرها « ابن سينا » تحت عناوين فرعية صغيرة :

العالم : المادة الأولية والصورة والعدم ، هي الأصول الثلاثة التي عنها تصدر كل الأجسام الطبيعية ، والعالم مخلوق لم يحدث في زمانه .

الله : هو أول ، وهو جوهر بسيط منزّه عن التركيب ، ويرى «ابن سينا» أن الله تعالى يعلم كل ما وقع وما سيقع في ملكه . إذ ليس علمه بالأشياء لأنها حدثت ، بل هي قد حدثت لأنه علم بها منذ الأزل ، فكان علمه بها سبباً لحدوثها ، ولكن علم الله يخالف علم الانسان ، كما يختلف المحدود وغير المحدود .
النفس : أثبت «ابن سينا» بقاء الأنا ، أى النفس ببقاء الجسد في كل حالاته ، وهو في ذلك سابق للفيلسوف الفرنسى «ديكارت» الذى يبطل الشك في الوجود بقوله (أنا أفكر إذن أنا موجود) وتعتبر هذه الحقيقة أولى الحقائق الغنية عن الإثبات ، كما سبق «ابن سينا» «ديكارت» إلى القول بأن صفة الوجود لا تدوم للموجود بمجرد إيجادها بل إنه يكتسبها بالتجدد والدوام .

وهو يقول (إن مجيئنا إلى هذا العالم لم يكن باختيارنا وإرادتنا ولكننا جئنا ، وبالقهر نمكث ، وبالقهر نخرج ، وإنما جئنا هنا للتمحيص والتطهير - يمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين - وطهارة النفس إنما تكون بالعمل الشرعى وبالعالم الإلهى . كما أن طهارة الجسم من النجاسة تكون بالماء أو بالتراب) .

الخير والشر : العالم عند «ابن سينا» يراد فيه الخير قصداً وأصلاً ، ويأتى فيه الشر عرضاً لضرورة يقتضيها الخير .

فالخير أصيل في العالم ، والشر عرض ، وهو ضرورة لاستكمال الخير الكثير الذى يدل عليه تماسك الموجودات ، ويقول «ابن سينا» (ليس في الإمكان أبدع مما كان) .

الحرية الإنسانية : يرى «ابن سينا» أن النفس مكرهة على دخول الجسد ، مكرهة على فراقه ، وأنها لم تضع العوائق التى تصدها عن الترقى في درج الكمال ،

وهو يؤمن بالتفاوت بين مقادير النفوس ، ويؤمن بالعدل في نظام الوجود ، وبالخير المحض فيه . فهو يرى أنه لا يقع في الدنيا ظلم ظاهر إلا كان له وجه باطن من العدل ، ولا يجرى الشر إلا في مجرى الخير ، ولا تنتهى الأمور إلا إلى أفضل النهايات وهذا هو الإيمان بالله . ويلاحظ في فلسفة « ابن سينا » أنها لم تشمل على ما يناقض العقيدة الدينية في أصولها ، بل هو يوافقها ويدعو إليها .

وجعل « ابن سينا » (النبوات) وظيفة حيوية في بنية المجتمع الإنساني ، ورأى وجوب وجود (نبى) على أن يكون له خصوصية ظاهرة لتمييز عن الناس إذا وجد هذا النبى وجب أن يسن للناس في أمورهم سننا بأمر الله ووحيه . وهذا النبى يجب أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ولا يشغلهم بما يوقعهم في الحيرة والشك ، ويجب أن يعرفهم بجلال الله وعظمته .

ويعد ما كتبه « ابن سينا » عن النفس الفردية وخلودها من الدعائم التى استند إليها أكبر علماء اللاهوت ، كما كانت ملاحظاته على (قوس قزح) وعلاقته بأحوال السحاب محل إعجاب رواد المدرسة التجريبية ، كما كانت طبيعياته من أسباب الفتوح العلمية الحديثة لأنها ظلت في جامعات أوروبا موضوعاً للدرس مع بحوثه الطبية لعدة قرون .

ابن سينا الطبيب :

لم يبلغ أحد شأواً « ابن سينا » فى الطب ، ولا اقترب منه ، لأنه كان طبيب عصره بغير منازع فى الشرق كله .. ثم انتقلت مؤلفاته إلى الغرب فأصبح طبيب العالم بأسره زهاء أربعة قرون ، ولم يشتهر أحد بهذه الصناعة مثل شهرته العالمية تلك باستثناء « بقراط » ، « وجالينوس » .

ويروى عنه أنه احترف الطب وهو فى السادسة عشرة من عمره ، وكان كتابه

في الطب (القانون) قد ترجم في أواخر القرن^١ الثاني عشر الميلادي إلى اللغة اللاتينية ، فأصبح مرجعاً للدراسات الطبية في جامعات أوروبا من أقصاها إلى أقصاها ، وظل يدرس في جامعتي (مونبليه ، ولوفان) إلى منتصف القرن السابع عشر كما أنه مازال يدرس حتى الآن في كليات الطب في بعض الولايات الهندية . وكان (القانون) « لابن سينا » وكتاب (المنصوري) « للرازي » هو المرجع الأساسي لأساتذة جامعة (فينا) وجامعة (فرانكفورت) طوال القرن السادس عشر ، كما ترجم إلى العبرية وتداوله الإسرائيليون المشتغلون بالطب في أرجاء العالم . وتكررت طبعاته حتى قاربت أربعين طبعة حتى بداية القرن السادس عشر ، عدا الكراسات المقتبسة منه .

ويقول العالم « نوبرجران » إن علماء عصره كانوا ينظرون إلى (كتاب القانون) كأنه وحى معصوم ، ويزيدهم إكباراً له تنسيقه المنطقي الذي لا يُعاب ، ومقدماته التي كانت تبدو لأبناء تلك العصور كأنها القضايا المسلمة والمقررات البديهية . لقد كان (القانون) أوفى مراجع الطب القديم ، وظل كذلك حتى عصر الموسوعات الحديثة في أوائل القرن التاسع عشر ، لما اشتمل عليه من إحاطة وتنسيق في أصول الطب وفروعه ، ودراسة لأعراض الأمراض ، ووصف العلاج مع سرد لأسماء العقاقير ، ومواطن الجراحات وأدوات الجراحة .

وبرغم ارتباط الطب في عصر « ابن سينا » بالكهانة والشعوذة ، فإنه لم يخلط بينها ، واعتبر الأمراض الجسدية عوارض قابلة للتشخيص والعلاج ، كما آمن بالأمراض النفسية وعلاجها بالطرق الكيميائية .

ويقول « العقاد » في كتابه عن الشيخ الرئيس ابن سينا : (إنه كان يعتبر العشق من الأمراض التي شخص أعراضها ووصف لها العلاج الشافي) .

ابن سينا الأديب :

حفظ «ابن سينا» القرآن وهو لم يبلغ العاشرة بعد ، فتعود لسانه الفصاحة منذ صباه ، وقرأ عيون المؤلفات الأدبية العربية والفارسية المعروفة في عصره ، وكان يهوى شراء الكتب واقتناءها ودراستها ، حتى عرفه الوراقون منذ صباه .. فكانوا يأتونه بالغريب والفريد من الكتب .

وكان «لابن سينا» شعر عرف عنه ، وإن كان لم يشتهر به ذلك أنه لم يكتب الشعر للتكسب ، وإنما كان يكتبه للتسلية وإظهار الحكمة . ومن شعره الفلسفي .
هذب النفس بالعلوم لترقى وذو الكل فهمي للكل بيت
إنما النفس كالزجاجة ، والعدو سم سراج ، وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنك حي وإذا أظلمت فإنك ميت
أما نثر ابن سينا فهو مرسل فصيح في أغلب مؤلفاته ، وإن كانت له بعض الرسائل التي احتفل فيها بالمحسنات اللفظية ، وكان في كتاباته الفلسفية يتبع أسلوب الفلاسفة وطريقتهم في الكتابة ، وكان في كل من الأنواع الثلاثة موفقاً .

العالم يحتفل بمرور ستة قرون على (مقدمة ابن خلدون) *

« ابن خلدون » هو مؤسس علم الاجتماع بشهادة علماء الغرب قدم للعالم فكرة الجبرية الاجتماعية وفلسفة التاريخ قبل « كونت » بخمسة قرون . .

يحتفل تاريخ كل أمة من الأمم بأسماء أعلام تشعر الإنسانية بدينهم عليها ويكون هؤلاء العباقرة موضع اعتزاز أممتهم وشعوبهم .
و« ابن خلدون » هو أحد العباقرة الذين يستحقون أن تزهو بهم أممتهم العربية على العالم لما أسدى ومنح من فكر وعلم .
فيقول عنه العلامة الشهيرة « لودفيج جمبلوفتش » : (لقد جاء مسلم تقي فدرس الظواهر الاجتماعية بعقل متزن ، وأتى في هذا الموضوع بآراء عميقة ، وإن ما كتبه ، هو ما يسمى اليوم بعلم الاجتماع) .
وتحتفل الأوساط العلمية في العالم هذه السنة بمرور ستة قرون على كتابه (مقدمة ابن خلدون) حيث كتبها في عام ٧٩٨ هـ ١٣٧١ م .
ولد « أبو زيد عبد الرحمن محمد بن خلدون » في غرة رمضان من عام ٧٣٢ هـ

١٩٧٨ •

في (مدينة تونس) ، وفي معاهدها العلمية ومساجدها درس العربية والقرآن والفقه والحديث .

ولما بلغ العشرين من عمره ترك تونس مسقط رأسه بعد أن مات أبواه في طاعون جارف أهللك العديد من أهل هذه البلاد ، وحاول « ابن خلدون » أن يجد مورداً للعيش في بيته التي انقسمت سياسياً إلى إمارات متنافسة فبدأ يتقرب ويعمل في خدمتهم ، وأمضى حوالى خمسة وعشرين عاماً متنقلاً بين بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى وبلاد الأندلس يعمل في خدمة الملوك والأمراء .

وعلى الرغم من انشغال « ابن خلدون » في هذه الفترة بأمر السياسة والصراعات الدائرة بين القوى الحاكمة في هذه البلاد فإنه كان يراقب كل هذه الأمور بعين دارسة مدققة ..

وأجس بعد خمسة وعشرين عاماً من الحياة وسط أتون هذه الصراعات برغبة في التفرغ والتأمل والكتابة ، وكان قد بلغ من العمر وقتها الخامسة والأربعين ، فعكف في إحدى القلاع ما يقرب من تسع سنوات ، يؤلف كتابه الشهير (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر) . ثم سافر بعدها إلى مصر حيث قضى حوالى أربعة وعشرين عاماً شغل في أثنائها أكثر من منصب كبير ، بين التدريس والقضاء ، حتى توفي بها في ٢٥ رمضان عام ٧٠٨ هـ بعد أن أتم مراجعة كتابه الضخم وأضاف إليه إضافات عديدة .

وقسم « ابن خلدون » مؤلفه إلى مقدمة وثلاثة كتب ، وجعل هذه المقدمة في فضل علم التاريخ ، وتحقيق مذهب ، وإظهار أخطاء المؤرخين ، وجعل الكتاب الأول في العمران ، ثم جمعت المقدمة والكتاب الأول مع الخطبة التي افتتح بها المؤلف الكتاب في مجلد واحد هو ما نسميه ، (بمقدمة ابن خلدون) .

مؤسس علم الاجتماع :

في هذه المقدمة عالج « ابن خلدون » ما نسميه الآن بالظواهر الاجتماعية ، وكان يسميها هو (واقعات العمران البشرى) أو (أحوال الاجتماع الإنساني) . وكان « ابن خلدون » يرمى من وراء دراسته للظواهر الاجتماعية إلى الكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر في نشأتها وما يعرض لها من أحوال . وهكذا .. كان « ابن خلدون » هو أول من فطن إلى خضوع الظواهر الاجتماعية لقوانين ثابتة مطردة كالقوانين التي تخضع لها ظواهر الطبيعة والرياضة . وبالتالي لم يقم أحد من قبله بالكشف عن هذه القوانين ، فقد سلك الباحثون من قبله طرقاً مختلفة في دراساتهم لهذه الظواهر ، ولم يسلك أحدهم الطريق العلمي الذي كان يسلكه علماء الرياضة والطبيعة ، واتجهوا في علاج هذه الظواهر إلى طرق لا تقوم على الاعتقاد بأنها تخضع لقوانين ثابتة .

قبل « دوركايم » بخمسة قرون :

ويبدو مما كتبه « ابن خلدون » في المقدمة أنه كانت لديه فكرة واضحة عن اتساع نطاق الظواهر الاجتماعية وشمولها لجميع أنواع الظواهر الأخرى ، لهذا فهو لم يغادر أى قسم من أقسامها إلا وعرض له بالدراسة . فقد بين أثر البيئة الجغرافية في هذه الظواهر الاجتماعية وفي غيرها ، وهذا ما فطن إليه « دوركايم » بعدها بخمسة قرون وسماها (المورفولوجيا الاجتماعية) أو علم البيئة الاجتماعية ، وكان يظن هو وأعضاء مدرسته أنهم أول من أدخلها في مسائل علم الاجتماع ولم يدركوا أن « ابن خلدون » سبقهم إلى ذلك وأنه خصص لها أكثر من بابين من مقدمته .

السوسيولوجيا :

لقد وصل « ابن خلدون » بعد مشاهداته وتأملاته العميقة لشئون الاجتماع الإنساني إلى أن الظواهر الاجتماعية لا تنشأ عن بقية ظواهر الكون ، وأنها محكومة في مختلف نواحيها بقوانين طبيعية تشبه تلك القوانين التي تحكم علم الفلك والطبيعة والكيمياء وعلم النبات ، ومن ثم فقد رأى أنه من الواجب أن ندرس هذه الظواهر دراسة وضعية كما ندرس ، ظواهر العلوم الأخرى ، للوقوف على طبيعتها وما يحكمها من قوانين ، وعلى هذا البحث وقف دراسته في المقدمة .

ومن هذه البحوث يتألف علم جديد أسماه « ابن خلدون » علم (العمران البشري) ، أو (الاجتماع الإنساني) ، وهو ما نسميه الآن (علم الاجتماع) ، أو (السوسيولوجيا) .

ويقرر « ابن خلدون » في مقدمته أن أحدًا لم يسبقه إلى دراسة ظواهر الاجتماع على هذا الوجه . وكان أهم سبب دعا « ابن خلدون » إلى إنشاء هذا العلم الجديد هو حرصه على تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة ، ذلك أنه رأى أن كتب المؤرخين قبله قد اشتملت على كثير من الأخبار غير الصحيحة ، وأنه يجب تخليص التاريخ من هذه الأخبار ليعطى صورة صادقة لأحوال المجتمعات حتى لا تختلط الحقائق الصادقة بالأمور الملفقة الزائفة في أذهان الناس .

الظواهر الاجتماعية متغيرة :

وفطن « ابن خلدون » إلى الخواص التي تمتاز بها ظواهر الاجتماع الإنساني من حيث أنها لا تستقر على حال واحدة ، وأنها تختلف باختلاف الأمم والشعوب ، كما تختلف في الأمة الواحدة باختلاف العصور ، وتصديق هذه الخواص ، في رأى

« ابن خلدون » على شئون السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء وسائر أنواع الظواهر الاجتماعية بما فى ذلك الأمور الأخلاقية العامة .
وهذا طبعاً عكس الخواص الثابتة التى تحكم العلوم والطبيعة .
وكان « ابن خلدون » يعتمد فى أبحاثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع عند الشعوب التى احتك بأهلها ، إلى جانب تعقب هذه الظواهر فى تاريخ الشعوب نفسها فى العصور السابقة ، مع تعقب نظائر هذه الظواهر عند الشعوب التى لم تتح له الفرصة للاحتكاك بأهلها ، وموازنة هذه الظواهر جميعاً ، والتأمل فى مختلف شئونها للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية ، وما تؤديه من وظائف فى حياة الأفراد والجماعات والعلاقات التى تربطها ببعضها البعض . والعلاقات التى تربطها بما عداها من الظواهر الكونية ، وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور ، ثم الانتهاء من هذه الأمور جميعاً إلى استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر فى مختلف شئونها من القوانين .

« أرسطو ، وابن خلدون » وعلم الاجتماع :

يقول « ابن خلدون » عن علم الاجتماع الذى أسسه فى مقدمته (إنه فرع فلسفى جديد لم يخطر على قلب « أرسطو » ، ولذلك نعى على الفلاسفة المتقدمين اقتصارهم على دراسة العالم العلوى والذات الإلهية ، وقولهم بآراء لا يمكن أن يبرهنوا عليها ، ووقف هو عند العالم الذى نعيش فيه ، لأن معرفتنا به أوثق من معرفتنا بعالم العقل الذى يعنى به الفلاسفة ، لأننا نستطيع بملاحظة ما فى أنفسنا وما فى عالمنا أن نجد وقائع يمكن البرهنة عليها والتماس علمها .

المنهج الجدلى فى التاريخ :

وللمنهج التاريخى عند «ابن خلدون» قواعد للبحث فى أهمية تلك الوقائع ، وارتباطها بعضها البعض ارتباط العلة بالمعلول ، وبهذا جعل «ابن خلدون» التاريخ فرعاً من فروع الفلسفة ، وجعل له موضوعاً هو الحياة الاجتماعية وما يتصل بها من حضارة مادية وعقلية للجماعة التى رأى أنها تتطور من حال لآخر ، كحال البداوة والتنقل ، وحال الأسرة الحاكمة أو القبيلة ، إلى حال الدولة المتحضرة المستقرة فى مدينة ، وعلى ذلك بحث «ابن خلدون» فى أحوال العمران ، والملوك والكسب ، والعلوم والصنائع المختلفة ، بوجوه برهانية ، فكان فذاً بين فلاسفة المسلمين ، لقد قال فى مقدمته (إن كثيرين قبله حوّموا على الغرض ولم يصادفوه ، ولا يحققوا قصده ، ولا استوفوا مسائله) وكان أمل «ابن خلدون» أن يأتى من بعده من يستمر فى البحث ، فيتم أبحاثه ويحقق أمله .. وتحقق أمل «ابن خلدون» ولكن على يد فلاسفة الغرب أمثال «فيكو» وأوجست كونت ، وهربرت سبنسر .

«ولابن خلدون» آراء طريفة فى التربية ، فقد خصص الباب السادس من المقدمة للبحث فى العلوم وأصنافها ، والتعليم وطرقه وسائر وجوهه ، كما يستعرض تاريخ الحركة الفكرية عند المسلمين ، وكذلك حاول الكشف عن العلاقة بين العلوم والآداب من جهة ، والتطور الاجتماعى من جهة أخرى لاختلاف البلاد الإسلامية فى طرق التعليم ، وطالب بتعليم القرآن للأطفال فى سن متقدمة حتى يتحقق لهم الفهم اللغوى الدقيق لمعانيه .

كما انتقد كثرة المواد وتنوع الكتب وكثرة الشروح داخلها ... ، وسحاول «ابن خلدون» أن يوجه النظر إلى بعض النظريات التعليمية ، فنصح بضرورة

البدء بالقضايا العامة ثم الدخول بعد ذلك فى التفاصيل ، مع الاعتماد على الأمثلة القرية إلى ذهن التلميذ وحياته .. ثم الوصول بعد هذه الدراسة إلى القوانين العامة .

مصلح تربوى .. وفكرى :

ومن الموضوعات الطريفة التى تعمق « ابن خلدون » فى دراستها علاقة الفكر بالعمل ، وتكوين الملكات والعادات عن طريق التقليد والتلقين المباشر والتكرار ، وهو يتوسع فى تكوين الملكة اللغوية والذوق الأدبى للبحث عن شواهد اللغة وتراكيبها ، ودراسة التراث العربى والاستعانة به فى التمرين على الكتابة .

وكان « ابن خلدون » رائداً عندما أعلن دعوته إلى الرحمة بالأطفال ، وفى معارضته استخدام الشدة معهم ، فبين الأضرار الخلقية والاجتماعية التى تنجم عن هذه القسوة فقال : (إن القهر والتعسف مما يقضى على انبساط النفس ونشاطها ، ويدعو إلى الكسل ويحمل على الكذب والحُبث والمكر والخديعة ، ويفسد معانى الإنسانية) .

ومن المؤسف أن آراء « ابن خلدون » السديدة فى التربية والتعليم لم يظهر لها أى تأثير فى مجتمعه فى العصور التالية .

شهود .. منهم :

لقد كان « ابن خلدون » صادقاً عندما قال إن أحداً لم يسبقه إلى هذه الدراسة ، لأن « أوجست كونت » جاء بعد خمسة قرون ليقول إنه مؤسس علم الاجتماع ، والحقيقة أن « ابن خلدون » يحظى بهذا الشرف ، حتى أن علماء الغرب أنفسهم شهدوا بهذه الريادة .. فيقول (العلامة كولوزيو) (إن الفضل فى تقرير مبدأ الجبرية الاجتماعية يعود إلى « ابن خلدون » قبل رجال الفلسفة الوضعية .

ويرى الأمريكي (فارد) أن « مونتسكيو » ليس هو صاحب مبدأ الحتمية الاجتماعية (فقد قال « ابن خلدون » ذلك ، وأثبت خضوع الظواهر لقوانين ثابتة قبل هؤلاء بمدة طويلة .. وأعلن هذا في القرن الرابع عشر) .
ويقول العلامة « شميث » لقد تقدم « ابن خلدون » في علم الاجتماع إلى حدود لم يصل إليها « كونت » في النصف الأول من القرن التاسع عشر .. ولو أطل المفكرون الذين وضعوا علم الاجتماع ، على مقدمة « ابن خلدون » واستعانوا بها ، لتقدموا بهذا العلم أسرع بكثير مما تقدموا به ، فقد اكتشف ذلك العبقري العربي ، مناهج ، واستحدث دراسات عديدة في هذا المجال) .
ويقول « توينبي » في كتابه دراسة للتاريخ (أن فلسفة التاريخ التي تخيلها « ابن خلدون » ثم بسطها في كتبه هي بدون شك أعظم نتاج أبدعه أى ذهن في أى عصر وفي أى زمن) .
وقال « جان مارسيه » (إن مقدمة ابن خلدون هي أحد المؤلفات الأكثر ضرورة والأكثر إثارة من بين المؤلفات التي قيض للعقل البشرى إنتاجها) .

ابن خلدون وكونت :

لقد رأى كل من « ابن خلدون » ، « وأوجست كونت » أن هناك ضرورة لإنشاء دراسة جديدة للظواهر الاجتماعية . ، وأن تكون هذه الدراسة وضعية ، ترمى إلى الكشف عن طبيعة هذه الظواهر وما تخضع له من قوانين .
فهما متفقان في موضوع الدراسة ، وهي الظواهر الاجتماعية ، كما اتفقا في الهدف ، وهو التوصل إلى طبيعة هذه الظواهر والقوانين التي تحكمها ، كما اتفقا في منهج الدراسة ، حيث كان منهجها وضعياً قائماً على الاستقراء والملاحظة .
هذا .. على الرغم من أن سبب الدراسة عندهما كان مختلفاً تماماً .

فكان سبب هذه الدراسة عند « ابن خلدون » هو حرصه على تخليص البحوث
نخبة من الأخبار الكاذبة ، ووضع منهج للباحثين التاريخيين ليميزوا بين الصحيح
الصحيح من الأخبار .

أما « كونت » فكان يهدف من دراسته إلى إصلاح المجتمع وتخليصه من عوامل
بطراب والفساد ، والقضاء على التناقض بين التفكير العلمى والتفكير
فيزيقي داخل مجتمعه .

خلدون والتاريخ الإسلامى :

ويرى « د . على عبد الواحد وافي » أن أصالة « ابن خلدون » ، تبدو فيها أجراه
تحقيقات علمية هامة على تراث أسلافه من المؤرخين الذين كتبوا تاريخ العرب
سلام ، « كابن هشام » ، « وابن اسحق » والواقدي ، والطبرى ، وابن
ر ، فاستبعد بعضها على أنه محض اختلاق غير ممكن الحدوث كما شك في
ة كثير منها . وقد بنى تحقيقاته هذه على ما قرره في مقدمته بصدد الاجتماع
مافى ومناهج البحث العلمى .

ويحفل كتاب « ابن خلدون » فى التاريخ ببحوث تاريخية جديدة استمدتها من
مداته وقراءاته الخاصة . حيث يعد هذا الكتاب أهم مصدر لتاريخ البربر فى
أفريقيا ، كما أنه أكثر هذه المصادر أصالة وتحققاً .

١- - بيوجرافيا :

لم تقتصر عبقرية « ابن خلدون » على مجال كتابة التاريخ والدراسات الاجتماعية
برع كذلك فى (الأوتو- بيوجرافيا) ، أى ترجمة المؤلف لنفسه وهو ما يعرف
السيرة الذاتية ، ويعد « ابن خلدون » بارزاً فى هذا الفن عن غيره من مؤرخى

العرب والمسلمين بما كتبه عن تاريخ حياته في كتابه (التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً) . ويضع المؤرخون (تعريف) « ابن خلدون » في صف واحد مع اعترافات « الغزالي » في كتابه (المنقذ من الضلال) ، واعترافات « جان جاك روسو » في كتابه (الاعترافات) .

ولا يقتصر « ابن خلدون » في كتابه (التعريف) على تاريخ حياته .. بل يذكر كذلك كثيراً مما يتصل بهذا التاريخ ، من حوادث ووثائق وخطب ورسائل وقصائد ، ويصف أحوال كثير من المجتمعات والنظم التي كانت لها علاقة به ، ويصور أحوال العصور التي عاشها أحسن تصوير . كما يترجم لمعظم من جاء ذكرهم في كتابه .

« ابن خلدون » إمام ، ومجدد في أسلوب الكتابة العربية :
ويُعد « ابن خلدون » من كبار أئمة الأدب وأعلام البيان العربي .. ومن أبرز المجتهدين في أسلوب الكتابة العربية ، فقد استخدم في كتابة الرسائل العادية والحكومية منذ أن تولى عمله ككاتب سر لسلطين المغرب ، أسلوباً جديداً يمتاز بالسهولة والوضوح ، والتعبير الدقيق عن الحقائق وقوة التدليل ، وترابط الفكرة وحسن الأداء والتناسق ، وتخير المفردات والتراكيب العربية السليمة ، وخلص من قيود السجع ومحسنات البديع التي كان النثر العربي مكبلاً بها في هذا العهد .

وكان أسلوبه هذا .. إحياء للأسلوب العربي الذي امتازت به العربية في عهدها الذهبية الأولى .. ولما كانت بحوث « ابن خلدون » في الاجتماع قد انتهت إلى أفكار وآراء جديدة لا يوجد في الكلمات المألوفة ما يعبر عنها تعبيراً دقيقاً ، أو يحتاج التعبير عنها لاستخدام الألفاظ والعبارات في غير ما وضعت له عن طريق

من طرق المجاز أو الكتابة ، فقد اضطر لكى يعبر عن هذه الأفكار والآراء إلى أن يشتق من بعض الأصول العربية مفردات لم يسبق اشتقاقها حتى أنه استخدم كثيراً من المفردات والعبارات فى معان علمية لم يسبق استعمالها فيها ، وإن كانت تمت إلى معانيها الأصلية بعلاقة من العلاقات المقررة فى علم البيان .

٢٠٠ عام على وفاة « جان جاك روسو » *

عاش حياته عاشقاً .. ورأى خلاص العالم في الحب

احتفلت الأوساط الثقافية في العالم خلال عام ١٩٧٨ بمرور مائتي عام على وفاة الفيلسوف الفرنسي الشهير « جان جاك روسو » ، صاحب إنجيل الثورة ، ومؤسس أشهر النظريات السياسية التي تقوم على الحب والاتفاق ، وهي نظرية (العقد الاجتماعي) .

وقد استعمل المجتمع الثقافي في فرنسا لهذه المناسبة منذ أكثر من عام ، فعقدت الندوات والدراسات عن هذا المفكر العظيم وخصصت الجامعات أبحاثاً ورسائل تلقى أضواء جديدة على شخصيته وفكره وفلسفته .

ويُعد « روسو » واحداً من أكبر مفكرى أوروبا في القرن الثامن عشر ، والذي ألهمت كتاباته زعماء الثورة الفرنسية وتركت بصماتها على جيل بأكمله من المفكرين عرف بالجيل (الرومانسي) .

وكان « روسو » من أول من حققوا التوافق بين المسيحية والفكر العقلي فيما عرف بعد ذلك بالديانة المدنية .

وفي المجال السياسي تجاوزت نظرية « العقد الاجتماعي » النزعة المدنية الليبرالية

• يوليو ١٩٧٨ .

لدى المفكرين الإنجليز ، والنظرة الوضعية عند « مونتسكيو » صاحب نظرية (الفصل بين السلطات) .

وجاءت نزعتة فيما يتعلق بالتربية الطبيعية ويبحث عن اتفاق مقبول وحر بين التلاميذ ومدرسيهم ، نواة للمذهب الحديث في مجال التربية .

وقد استطاع أن يعرض ذلك كله بشكل واضح ، ذلك أنه لم يقدم أفكاره في شكل أبحاث فلسفية فحسب ، لكنه تجاوزها إلى الروايات والانطباعات التي تعكس آراءه وأفكاره .

روسو والبحث عن الأمومة :

لم تكن « سوزان بيرنارد » أم « جان جاك » تدرى يوم ولدته للعالم أنها قد أهدت إلى العالم مفكراً وضع سعادة الإنسان هدفاً يسعى له طوال حياته . ولم يمهلها القدر حتى تسعد بهذا الصغير فاختطفها الموت منه ، وغادرت الدنيا وتركته وحيداً لم يزد عمره عن بضعة أيام .

وتفتحت عينا « جان » الصغير ، وتفتح قلبه وعقله في ظمأ إلى منهل الحب والحنان الكبير (الأمومة) .

وعاش (روسو) العطف والفتى والشباب يبحث عن خلاص للبشر من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي يعانها .. ولم يجد خلاصاً من كل هذا إلا في الحب .

وقامت على يديه أول نظرية سياسية تعتمد على الود والتفاهم والاتفاق بين الناس ، (نظرية العقد الاجتماعي) .

لقد ولد « جان » في مدينة (جنيف) لأب متوسط الحال ، ونال حظاً

متواضعاً من التعليم ، ثم التحق بأكثر من عمل ، ولكنه لم يجد رغبة في الاستمرار في أى من هذه الأعمال . فترك جنيف على غير هدى .

وبعد طول الضياع حط « جان » رحاله عند سيدة محسنة ذهب إليها بتوصية من أحد أصدقاء أبيه كى تساعده في العثور على عمل مناسب ، وكان ذلك في عام ١٧٢٨ ، ورحبت (مدام دى فرانس) به في قصرها الكبير في مدينة (انسى) وساعدته على الالتحاق بأحد المعاهد التبشيرية .. لكنه ما لبث أن عاد إليها فاشلاً حيث افتقد الهدوء الذى تبحث عنه روحه دائماً ، وكانت «مدام دى فرانس» ، سيدة رائعة الجمال ، ففتن الفتى «جان» بجمالها ورفقتها ، وأسره حنانها الذى غمرته به حتى أنها كانت تناديه (ولدى) وكان يناديه (ماما) .

ويصف لنا «روسو» جمال «مدام دى فرانس» في عبارة رقيقة ، يقول عنها إن جمالها من ذلك النوع الباقي الذى يبدو في الحيا أكثر مما يبدو في التقاسيم ، كانت ذات هيئة ناعمة جذابة ، ونظرة ساحرة ، وبسمة ملائكية ، وكانت صغيرة القد ، أميل إلى القصر ، علة نوعاً .. ولكن دون قبح .. بيد أنه لم يكن أجمل منها رأساً ، ولا أجمل صدرأً ويدين ومعضمين .

وكانت (مدام دى فرانس) تمثل في حياة «روسو» أمأً ، ومربية ، وحامية وصديقة ، ثم كانت له أخيراً عشيقة ، وفي الحقيقة أن ما كان بين «روسو» ومدام «دى فرانس» ليس بالحب الجنسى الخالص ، ولا هو بالحب البنوى الخالص ، ولا هو بالصدقة الحبيمة فحسب ، بل كان مزيجاً من ذلك كله ، مقروناً بنوع من عبادة الجمال والسحر ، وعاطفة عميقة من العرفان وشكر الصنيع .

وعاش «روسو» إلى جوار «مدام دى فرانس» حوالى خمسة عشر عاماً قضاهما في القراءة والدرس ، وكان يعمل في أثنائهما في تدريس الموسيقى ونسخ النوت الموسيقية - واتصل خلالها بعدد كبير من الأدباء والمفكرين ، فقد كانت

« مدام دى فرانس » واحدة من محبات الأدب والفن والفكر والموسيقى ، وكان يثبها قبله لعددٍ من أعلام عصرها ..

وهكذا أعطت (مدام دى فرانس) ، (لروسو) الحب والأمان ، كما أعطته فرصة طيبة للدرس والتحصيل ، وقابل « روسو » ذلك بالوفاء والإخلاص ، ويبدو هذا واضحاً فيما كتبه عنها في اعترافاته ، فقد كتب عنها صفحات رائعة تفيض حبا ووفاءً .

ذهب « روسو » إلى باريس في عام ١٧٤١ وكان في التاسعة والعشرين بعد أعوام شقاء قضاهما بين مدن وقرى سويسرا وإيطاليا وفرنسا لكسب عيشه . وفي باريس ينزل في خان حقير - اسمه (سان كنتان) - فيتعرف على الخادمة (تريز لوفاسور) وكانت فتاة كثيرة الغباء لا تحسن القراءة ولا الكتابة ومع ذلك كان كثير الإعجاب بها ، ناظراً إليها بعين الحب ، راضياً ببجالتها ، ورقة صوتها ، متجاوزاً عن عيوبها وفقرها متغاضباً عما يفصله عنها من عبقرية ونبوغ ، وعاشا معاً نحو اثنتي عشرة سنة ، أنجبت له خلالها خمسة أطفال سلمهم إلى ملجأ اللقطاء . وخلال وجوده في باريس تعرف على « ديدرو » (رائد الموسوعيين) الفرنسيين والذي كان يشغل وقتها في إعداد أول موسوعة فرنسية ، وقد أعد له « روسو » الجزء الخاص بالموسيقى في هذه الموسوعة .

وبدا « روسو » يدخل عالم الفكر عن طريق مسابقة لإحدى الجامعات عنوانها (هل أدى تقدم العلوم والفنون إلى إفساد الأخلاق أو إلى إصلاحها) ، وقد نال عنها الجائزة الأولى ، وكانت آراؤه في هذا الموضوع مبتكرة ، وتجلت في هذه الرسالة عبقرية « روسو » التي وصلت به إلى كتابيه (إميل) و (العقد الاجتماعي) . حيث كان « روسو يرى أن الإنسان خير بطبعه ، إلا أن المدنية أفسدته . ثم نشر « روسو » بعد ذلك بحثاً آخر عن نشأة التفاوت بين الناس ظهر فيه

نضج شخصيته ، ووضح فلسفته .

ثم توالى أعمال « روسو » العظيمة (الواز الجديدة) (والعقد الاجتماعي) (وإميل) ، ثم (اعترافاته) التي تحدث فيها عن آرائه في كل نواحي الحياة . وكان « روسو » قد سافر إلى لندن في عام ١٧٦٥ في صحبة الفيلسوف الإنجليزي « ديفيدهيوم » الذي يُعد واحداً من أبرز أتباع النزعة التجريدية ، ومؤسس الفلسفة الظاهرية ، وكان « هيوم » في زيارة لفرنسا . ولكن « روسو » لم يلبث أن عاد إلى باريس حيث توفي بها .

إمام الحركة الرومانسية :

ويعتبر الدارسون روسو رائداً للحركة الرومانسية الحديثة . وتتلخص آراؤه في أن الإنسان يجب أن يعود إلى حالته الطبيعية والفطرة الأولى ، فالتقدم المادى والتقدم العلمى اللذان أحرزتهما الإنسانية خلال تاريخها الطويل لم يحققا للإنسان سعادته ، بل أحالاه إلى عذاب وشقاء ، وعاش الإنسان سعيداً في الجماعات الصغيرة المستقلة التي كانت تسودها روح الأسرة ، وكانت حياته بسيطة بلا جشع أو خوف أو كراهية ، وهو بهذا لا يدعو إلى إلغاء الحضارة الإنسانية والعودة إلى البدائية ، والبربرية ، إنما يدعو إلى توجيه الحضارة الإنسانية نحو غاية عليا يمكن أن تحقق للإنسان سعادته .

وكان « روسو » يجد سعادة الإنسان في التعاطف والتحاب ، كما أنها تكمن في الزهد في مباهج الحياة العصرية ورفاهيتها التي تحمل من المفايد أكثر مما تحمل من المحاسن . فالسعادة في رأيه هي أن يتعاون الناس في السراء والضراء ، وأن تتحلل الفرد عن أنانيته في سبيل سعادة المجتمع والإنسان .

وتقوم نظرية « روسو » المعروفة (بالعقد الاجتماعي) على أساس الاتفاق الحر

بين الأفراد . وقد افترض « روسو » أولاً أن الإنسان خيرٌ بطبيعته ، وأن فيه من العواطف النبيلة ما يجعله قادراً على التغلب على قوى الشر والأناية .

لقد أحب « روسو » الفضيلة بشغف وبساطة شديدين ، عبر عنها بقوة وصراحة كبيرة ، ووجه نداءاته إلى القلب ، والعواطف الإنسانية ، فملك على الناس مشاعرهم ، وتمسّس قراؤه لدعوته الجديدة إلى العاطفة الأخلاقية ، وكان أثرها عميقاً في نفوس الناس .

أما في مجال التربية ، فيرى « روسو » أن يترك للطفل فرصة تنمية مواهبه الطبيعية دون أن تعطلها مؤثرات الحضارة الفاسدة ، فالتربية تنبع من داخل النفس ولا تأتي من قراءة الكتب . وهو يقول إن هدف التربية الأسمى هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش ، وتُعد آراء « روسو » في التربية هي الضوء الأول على طريق التربية الحديثة .

ومن أشهر أعمال « روسو » (الواز الجديدة) من ستة أجزاء نشرها في عام ١٧٦٣ .

ثم (إميل) أو (التربية) في أربعة أجزاء ١٧٦٢ ، (وروسو يحاكم جان جاك) ، و(الحوارات) ، و(الاعترافات) ، و(أحلام متتره وحيد) ، ثم (العقد الاجتماعي) أو مبادئ القانون السياسي ١٧٦٢ .

إلى جانب عدد من المقالات والدراسات عن السياسة والموسيقى من أشهرها مقاله الذي حصل به على جائزة (أكاديمية دييون) ١٧٥٠ ورسالته حول أساس عدم المساواة بين الناس .

ورسالته الشهيرة عن الموسيقى الفرنسية ١٧٥٣ والموجودة في الجزء السابع من الموسوعة الفرنسية .

وهناك رسائل أخرى مثل (مكتوبة من الجبل) ١٧٦٤ .

ومن أعظم مؤلفات « روسو » الموسيقية (قاموس الموسيقى) ١٧٦٨ والذي ترجم لعدد من لغات العالم .
لقد أنهى يوم ٢ يوليو ١٧٧٨ أسطورة حياة « جان جاك روسو » .. ولكن أسطورة فكره وعبقريته تولد مع كل بحث جديد يكتب عنه .. فإزال الفكر الإنسانى يواصل دراسة تراثه العظيم فى السياسة والاجتماع وعلم التربية واعترافاته الصادقة فى عالم الحب .

مرور ٢٠٠ عام على وفاة « فولتير » *

رفض رجال الكنيسة الصلاة على جنازه
ونقله رجال الثورة إلى مقبرة العظماء

يوافق يوم ٣٠ مايو من هذا العام (١٩٧٨) ذكرى مرور مائتي عام على وفاة المفكر الفرنسي الكبير «فرانسوا فولتير»، وتقول الموسوعة البريطانية في تقديمها لشخصية « فولتير » إنه (يُعدّ واحداً من أعظم الكتاب الفرنسيين الذين مازالت أعمالهم تُقرأ في جميع أنحاء العالم كفارس جرىء ، في وجه الطغيان والتعصب والقسوة ، وهو يمثل العقلية الفرنسية المتحررة القادرة على النقد والتّهمك والهجاء . كما تمثل أعماله نماذج مثالية تتمنى كثير من الأقلام أن تحذو حذوه)
أما حياته الطويلة فتستغرق السنوات الأخيرة من العصر الكلاسيكي والسرب الأولى للثورة الفرنسية ، وقد استطاع خلال هذه الحياة أن يؤثر على اتجاه الحضارة الأوربية .

ويعرف المواطن العربي اسم « فولتير » من خلال أعماله التي ترجمت إلى العربية مثل رواية (زاديك) التي ترجمها د . « طه حسين » ، تحت عنوان (القدر) ، و(الرسائل الفلسفية) ، و(القاموس الفلسفي) .

* مايو ١٩٧٨

ابن غير شرعى :

وُلد « فولتير » فى ٢١ نوفمبر من عام ١٦٩٤ ولم يُعرف أبوه الشرعى ، وعاش فى كنف عائلة متوسطة الحال ، ولم يكن يحمل فى قلبه أى حب لأبيه الرسمى ولا أسرته . أما أمه فلم يشر أبداً إليها ، ويقال إنها ماتت وهو صبى فى السابعة . وهكذا لم يحس « فولتير » منذ طفولته بأى انتماء ، ولم تتحرك فى قلبه هذه الأوتار التى كثيراً ما تحرك وجُدان الإنسان من حب لأهله ووالديه ودينه . وتلقى « فولتير » تعليمه فى (كلية لويس الأكبر اليسوعية) ، وهى إحدى مدارس « الجوزويت » فى باريس ، وبها بدأ حبه للأدب والمسرح والحياة الاجتماعية . كما اكتسب من هذه المدرسة النظرة الكلاسيكية ، وإن كانت تعاليم الدين لم تترك أثرها فى نفسه ، بل إنها أثارت فيه نزعة التَّهْكم والشك .

زواج الأدب والفلسفة :

بدأ « فولتير » حياته الأدبية كاتباً وشاعراً درامياً .. وظهرت ميوله الفلسفية من خلال كتاباته الأدبية ، فعرفه الشعب الفرنسى شاعراً مسرحياً وأقبلوا بشغف شديد على قراءة أعماله مثل (تاريخ الملك شارل الثانى عشر) ، و(ملحمة هنرى الرابع) التى يشبهها النقاد فى الأدب الفرنسى (بالإلياذة) فى الشعر الرومانى ، (والفردوس المفقود) «ميلتون» فى الأدب الإنجليزى .

ويذهب بعض المفكرين إلى القول بأن « فولتير » لم تكن له اهتمامات سياسية فى بداية حياته الفكرية ، حتى أن (ملحمة هنرى الرابع) كانت كلها ثناءً على الملك وذكر لمناقبه ، ولم يشر من بعيد أو قريب إلى مساوئ النظام الملكى فى فرنسا . وحتى رسائله الفلسفية التى نشرها فى عام ١٧٣٤ كانت مجرد عرض للنظام

السياسى للحكومة الإنجليزية ومراقبة السلطات فيها ، واتضح من هذه الرسائل إعجاب « فولتير » بالحكومة الإنجليزية ونظامها الاقتصادى الذى لا يثقل كاهل الفلاح بالضريبة ، كما أبدى إعجابه بالنظم الاجتماعية التى كانت معروفة آنذاك فى إنجلترا والتى كانت تساوى بين الناس ولا تميز بينهم إلا بالتفوق فى العمل .. وكانت هذه جرأة من « فولتير » أن يعرض هذه الأفكار والآراء التى تدعو إلى استخدام العقل فى الحكم على الأمور خاصة الدينية منها . وكان « فولتير » يسخر دائماً من تعصب رجال الدين . ويسخر سخرية لاذعة من تشاؤمهم فيما يتعلق بالغيبيات ، فقد كان « فولتير » مثل سائر المفكرين والأدباء فى عصره يدعو إلى الأخلاق المتحررة ، وكان يدعو إلى الاستمتاع بمباهج الحياة ، لأنه وجد أن حياة الفقراء هى الزهد والتقص ، وأن حياة الأغنياء هى الترف بعينه .

مفكر يمجّد الإسلام :

وتتضح فلسفة « فولتير » الاجتماعية فى بحثه عن (التقاليد وروح الأمم) الذى قدم فيه عرضاً شائقاً متنوعاً عن تقاليد الأمم المختلفة ، والذى نشره كملحق لكتابه (عصر لويس الرابع عشر) ، الذى نشره فى برلين فى عام ١٧٥١ ، وقدم فيه دراسة عن تاريخ الأمة الفرنسية فى هذا العصر .

ويلاحظ فى بحث (التقاليد وروح الأمم) أن « فولتير » لا يقدم تفسيراً فلسفياً عميقاً لأسباب تنوع هذه التقاليد وتطورها فى مختلف البلاد على مر العصور ، ويشير فى هذا البحث إلى التقاليد العربية والإسلامية على اعتبار أنها تقاليد قريبة من التفكير السليم . كما تحدث عن الحرب الصليبية وقال إنها كانت حماقة من جانب الغرب .

أما نزع « فولتير » الإلحادية ، فقد حاول أن يخفيها ، فلم يواجه بها مجتمعه

علانية ، فكان دائماً يُحملُ الملوك والقساوسة مسئولية الشرور والكوارث التي حاقت بالإنسانية . وبسبب محاكم التفتيش في العصور الوسطى ، كان دائماً يتهم رجال الدين واللاهوتيين بأنهم يقدمون للناس أفكاراً لا تحقق للإنسانية سعادتها ، بل تتسبب في شقاءها وتعاستها .

وكانت قصيدته الشهيرة عن « جان دارك » أوضح كتاباته عن هذه النزعة الإلحادية ، حيث سخر من الكنيسة الكاثوليكية ومن تقاليدها ، كما تجلت هذه النزعة الإلحادية كذلك في (القاموس الفلسفي) الذي صدر في عام ١٧٦٤ .

القانون سيد الحكم :

أما في المجال السياسي فيعتز الدارسون (فولتير) ناقداً سياسياً واجتماعياً أكثر منه فيلسوفاً للمجتمع والسياسة ، فهو يرى أن حرية الفكر هي الحرية الأولى التي يجب أن يحصل عليها الإنسان ، والتي يجب أن يدافع عنها أى مفكر . وكان « فولتير » يقف دائماً ضد الاستبداد في مجال السياسة ، وضد التعصب في مجال الدين ، ولكنه كان يحيط كتاباته بالغموض من كل جانب ، وهو لا يقدم لنا نظرية فلسفية متكاملة في الدين أو السياسة ، ولا يطالب بالجمهورية ، بل يطالب بالديمقراطية .

كما يؤيد الأرستقراطية الفكرية ، وينظر إلى الشعب على أنه مجموعة من الرعايا . ويقول « فولتير » إن هناك ثلاثة وسائل لحكم الناس : الأولى : هي الحكم بالقانون ، والثانية : هي الحكم بالدين ، والثالثة : هي الحكم بالحديد والنار . وهو لا يؤيد إلا الطريقة الأولى ، وإن كان يرى أن على مفكرى الأمة وعقلائها وضع القوانين ، لأنه يرى أن الشعب سيظل مجرد قطع تحكمه قوانين الغوغائية .

كانديد :

لقد اتضحت نزعة « فولتير » إلى الفلسفة العملية في روايته الشهيرة (كانديد) ، أو البريء .. وهي قصة خيالية كتبها في عام ١٧٥٨ ، وهي تحكى قصة شاب كان يدرس (الفلسفة الميكانيكية) ، ووصل بتفكيره إلى أن العالم الذى يعيش فيه ، ليس هو أفضل العوالم الممكنة ، فاعتزل مع أصدقائه فى مكان بعيد على أحد الشواطئ حيث اكتشف أن سر السعادة هو أن يزرع الإنسان حديقته . من هذه القصة نلمس رؤية « فولتير » إلى العالم ، القائمة على الحرية والعمل والمساواة .

مؤلف السبعين كتاباً :

لقد جمعت آثار « فولتير » من القصص والكتب التاريخية والفلسفية والمسرحيات ، والرسائل فى ٧٠ مجلدا نُشرت بعد وفاته ، ومازالت بعض رسائله غير المنشورة تظهر بين الحين والحين ومن أشهر قصصه :

- رحلات البارون جينجان ١٧٣٩ .

- زاديك ١٧٤٧ .

- كنديد ١٧٥٩ .

- الأبيض والأسود ١٧٦٤ .

- جانو وكولان ١٧٦٤ .

- أميرة بابيلون ١٧٦٨ .

أما كتاباته التاريخية وهى مبنية على المفهوم الحديث للتاريخ فمن أهمها :

- تاريخ شارل الثانى عشر ١٧٣١ .

- عصر لويس الرابع عشر ١٧٥١ .
- تاريخ الإمبراطورية الروسية تحت حكم بيير الأكبر ٥٩-١٧٦٣ .
- نقائس عصر لويس الخامس عشر ١٧٦٨ .
- وتضم مكتبة « فولتير » كذلك مجموعة من الرسائل والكتب الفلسفية مثل :
- رسائل فلسفية ١٧٣٤ .
- عناصر فلسفة نيتون ١٧٣٨ .
- مقالات عن العادات ١٧٥٦ .
- القاموس الفلسفي ١٧٦٤ .
- فلسفة التاريخ ١٧٦٥ .
- أما أشهر مسرحياته فهي :
- زايير ١٧٣٢ .
- آلترير ١٧٣٦ .
- مبروب ١٧٤٣ .

فيلسوف الحرية :

لقد رفض رجال الدين أن يدفنوا « فولتير » عند وفاته عام ١٧٧٨ في باريس حسب الطقوس المسيحية . لكن جثمانه انتقل إلى الياثيون (مقبرة العظماء) في عام ١٧٩١ بعد قيام الثورة . واحتفلت الأوساط الثقافية الفرنسية عام (١٩٧٨) بمرور قرنين على وفاته بعرض أفكاره وأشهر مؤلفاته وإقامة الندوات والدراسات عن فلسفته وأعماله .

لقد ترك « فولتير » للإنسانية مجموعة من المؤلفات عاشت برغم مرور قرنين مرجعاً هاماً في يد الدارسين لتاريخ الدفاع عن الحريات في كل أنحاء العالم .

خمسة عشر عاماً على وفاة العقاد *

أراد أن يكون قائداً للجيش المصرى

فأصبح قائداً للفكر المصرى ..

(فى كل كاتب شىء من طبيعة النبوة لأنه يحمل رسالة خاصة من لدن الحياة إلى إخوانه فى الحياة . ولهذا لا بد للكاتب من موهبة خارقة يحس مالا يحسه سواه من الناس ، ويفهم بها مالا يفهمون من أسرار هذه الدنيا وعجائب الغيب والشهادة ..) جاءت هذه الكلمات فى كتاب آخر كلمات العقاد ..

لقد كان يحلم دائماً فى طفولته أن يصبح جندياً .. وكم جلس وحيداً يتخيل نفسه وقد لبس لباس الحرب ، وحمل السلاح ، وهب يحارب من أجل حقه . وكانت لعبته المفضلة فى سنوات صباه الأولى هى لعبة الجيوش ، وفيها ينقسم الأطفال إلى فريقين متصارعين ، وكان (عباس) دائماً هو قائد الجيش المصرى . وفى هذه اللعبة البريئة مارس الفتى الصغير أحب هواياته إلى نفسه ، وهى الخطابة .. فقد كان على قائد كل من الفرق المتصارعة أن يلقي خطبة حماسية فى جنوده قبل بدء المعركة تضم عدداً من الأبيات الحماسية ، وهكذا فجر العيث الصبيانى ينبوغ الخطابة والشعر على لسانه وهو لم يبلغ بعد العاشرة من عمره . لكن الأقدار لم تشأ أن يصبح (عباس محمود العقاد) فارساً فى ميدان

* مارس ١٩٧٩

الحرب ، أوجدنيًا في صفوف الجيش . فتحوّلت طاقته إلى ميادين أخرى للنضال ، وصفوف أخرى للصراع ، وكما تركت هذه اللعبة بصاتها على شخصية العقاد تركت ملامح بيئته آثارها عليه .. فقد حمل الفتى الذى وُلد في يونيو عام ١٨٨٩ من مدينة أسوان عظمة معابدها وشمونها ، وقوة شلالها وتدفعه . وكان الفتى إلى جانب صفاته الخلقية التى جمعت الشهامة والشجاعة وعزة النفس متفوقاً في دراسته بارزاً بين أقرانه بذكائه ومثابرته ، حتى أن الجميع تنبؤوا له بالمستقبل المرموق .

وحصل « عباس » على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية في عام ١٩٠٣ وعادت أحلامه بالجنديّة تتراقص أمام خياله مرة أخرى ، ولكن أحوال أسرته المالية . تقف بينه وبين هذه الأمنية ، ويضطر لبدء حياته العملية ، فالتحق بوظيفة صغيرة في مدينة قنا ، وبرغم حداثة سن « العقاد » في هذه الفترة ، فإنه كان دائم الاطلاع على الكتب والصحف العربية والأجنبية التى تصل إلى يده . وتساعد الظروف « العقاد » .. فينتقل إلى مدينة الزقازيق حيث يقرب من القاهرة ، وتبدأ رحلته الطويلة العريضة مع الثقافة الحرة .. ويدخر كل ما يتبقى من دخله المتواضع ليشتري ما تهفو إليه نفسه من كتب . واستطاع بعد سنوات قليلة أن يقتنى عدداً من عيون الفكر العربى والعالمى ، التى أتاحت له فرصة أكبر ليشبع نهمه إلى المعرفة . كما أتاحت له زياراته المتكررة للقاهرة البدء في مكاتبة الصحف ، والتعرف على الشعراء « إبراهيم المازنى ، وعبد الرحمن شكرى » اللذين خاضا معه غمار معركة التجديد في موضوعات الشعر العربى وتحليله من القوالب التقليدية والألفاظ المستهلكة ، وذلك باعلان مدرسة الديوان ..

ومنذ عام ١٩٠٧ احترف العقاد الكتابة في الصحف ، وكتب في عديد من الدوريات التى كانت تصدر وقتها .

وكانت مقالاته تعالج الموضوعات السياسية والثقافية والعامة وإن كان أبرع ما يكون في كتابة المقالات الفلسفية والأدبية .

ويقول الدكتور « شوقي ضيف » عن « العقاد » ككاتب (كان العقاد في عمله الصحفي والأدبي يحتفظ لنفسه باستقلاله الشخصي في الرأي كما يحتفظ بكرامته إلى أقصى حد ، ومن المحقق أنه لعب دوراً خطيراً في كرامة الأدب والأدباء . فقد كانوا قبل عصره يحبون حياة لا يشيع فيها الاستقلال ، إذ كانوا يشعرون أنهم في حاجة إلى من يحميهم حتى يصيبوا ما يريدون من العيش والمتلة الأدبية ، لكن « العقاد » بدأ حياته مستقلاً عن الأحزاب ، لا يريد أن يحميه هذا الحزب أو ذاك ، ولا يفكر في أن يرعاه هذا العظيم أو ذاك ، بل مضى يحتمل صنوفاً من العلة والمشقة والعسر ، ولم يستطع شيء أن يعيث بكرامته وعزة نفسه) .

ومضى « عباس العقاد » يشق طريقه بأيام عمل وليالى تحصيل وبحث ، ولم تكن كل هذه الأيام يسراً ، بل كان أغلبها ضيقاً وحاجة ومرضاً .. فقد تولى « العقاد » عشرات الأعمال لكنه قضى عشرات الشهور بلا وظيفة تعود عليه بما يعينه على الحياة .

ويقول الدكتور لويس عوض عن « العقاد » (إنه كان أول نموذج عرفته مصر لما يمكن أن نسميه بالأديب المتفرع ، فحين نستعرض تاريخ البلاد الفكرى والأدبى من « رفاة الطهطاوى » إلى « طه حسين » لا نكاد نجد اسم علم واحد من الأعلام كان يكسب قوته من فكره وأدبه إلا إذا كان من تلك الطبقة المترفة التى أغناها مالها عن العمل .. « والعقاد » وحده هو نموذج الكاتب العصامى الذى شق طريقه فى الحياة بقلمه ، وأبى أن تكون له صناعة أخرى غير صناعة القلم يعتمد عليها فى رزقه) .

وكانت القراءة ، وتمثل الفكر العربى ميدان نضاله الأكبر ، كأنا أراد فى حزم

أن يستدرك ما فاتته من إتمام تعليمه وإحراز درجة جامعية ، فإذا هو يحطم في قوة قيود البرامج الدراسية والتخصصات العلمية . وينفتح على مصادر المعرفة شرقية وغربية .

ولا يختلف اثنان في أن « العقاد » هو أكبر كاتب عربي معاصر خالط الأوربيين في أدبهم وعلومهم وفلسفاتهم الميتافيزيقية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية ، وصنع بعبقريته جسراً مهماً لعبور العقلية العربية الحديثة من شاطئ الركود إلى شاطئ النهوض بفكرنا في جميع اتجاهاته .

كما يعترف تاريخ الثقافة العربية « للعقاد » بالفضل العظيم في المحافظة على الوحدة اللغوية لثرائنا العربي الحديث .

العقاد والفكر الديني :

لم تستطع ملكات « العقاد » العقلية أن تطغى على ملكاته الروحية . فقد نزع نحو المثل العليا .. وأخذ في كتاباته الدينية موقفاً ثابتاً إزاء معرفة الحقائق الكونية مقرباً من منهج الصوفية ، وكان بهذا الوعي الكوني يؤمن بوحدة الكائنات ووحدة الخلق فيها .. وعلى نحر ما آمن بوحدة الكائنات آمن بضرورة الشر في الوجود ، كضرورة الخير ، وأنه جزء لا يتجزأ من كيانه ، وأنه الخطوط القائمة للوحته ، ولولا هذا ما وضحت خطوط الخير الزاهية . وكان العقاد يقول دائماً إن العمل الذي يتمنى أن يتمه قبل وفاته هو تأليف كتاب عن الإنسان والكون ليكون متمماً لكتاب (الله) وكتاب (إبليس) .

أما عن العقيدة الإسلامية فقد ألف « العقاد » ثمانية كتب وهي على التوالي صدورها (الفلسفة القرآنية) ، (الديمقراطية في الإسلام) ، (الإسلام في القرن العشرين) و(مطلع النور) . (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) ، (الإنسان في

القرآن الكريم) ، (التفكير فريضة إسلامية) ، (ما يقال عن الإسلام) . وكان إيمان «العقاد» بعروبه مستمداً من إيمانه بعقيدته الإسلامية ، وكان يؤمن بأن هذه القومية تستمد طابعها المستقل وإيمانها ، لا من أصحابها الأولين فحسب ، بل أيضاً من أعلام الفكر الإسلامي والعربي ، فمع ما كتب عن النبي الكريم في (عبقريّة محمد) وعن صحابته الأولين في (عبقريّة عمر) ، و(عبقريّة خالد) ، و(الصدّيقة بنت الصديق) ، و(الحسين بن علي) ، (بلال بن رباح) كتب عن أعلام العرب الشعراء والمفكرين مثل (ابن الرومي) و(أبي العلاء) و(أبي نؤاس) كما كتب عن (ابن سينا) و(ابن رشد) و(الشيخ محمد عبده) و(سعد زغلول) . ولم تكن فكرة التوحيد والإسلام هي القضية الوحيدة التي تبناها «العقاد» ، بل إنه تبني كذلك فكرة الحرية ، التي كانت أهم فكرة هتف بها العقاد ، فقد ظل لسنوات يكتب عن حرية الفكر والرأي ، وحرية السياسة والديمقراطية ، وحقوق الشعوب . كما كان للعقاد السبق في الكتابة عن الفكر الاشتراكي . وكان من أوائل الكتاب المصريين الذين كتبوا عن هذا الفكر السياسي الجديد .

العقاد والمرأة :

للعقاد رأي خاص في المرأة ، وقد تأثر في هذا بآراء الفيلسوف الألماني «شوبنهاور» ، والشاعر العربي «أبي العلاء» ، وقد شن أول هجوم على المرأة في عام ١٩١٢ في كتابه (الإنسان الثاني والمرأة) وكان «العقاد» ينكر دائماً على المرأة صلاحيتها لكل ما يصلح له الرجل من شئون الحياة . ذلك أن لها في رأيه مجالاً غير مجاله .. فعجالها حراسة النسل ، ومجاله عراك الحياة وشئون الحكم ، وينتهي «العقاد» إلى أنه من الخطأ أن يُعطى لها حق في السياسة ، وقيادة الجماعات وسن القوانين والتخصص في العلوم والفنون أن ذلك كله في رأيه - يتعارض مع كفاءتها

الأنثوية وقواها الطبيعية .

إلا أن نعمة الهجوم الشديد هذه هدأت بعض الشيء في كتابه (المرأة في القرآن الكريم) ، فقد تأثر بالصورة العظيمة التي رسمها القرآن لشخصيتها الإنسانية ونراه في هذا الكتاب يقرر ضمناً ولأول مرة أن العمل حق للمرأة مثل الرجل ، وأن لها أن تتساوى في الحقوق والواجبات ، وإن كان من رأيه دائماً أن تأخذ المرأة فرصتها الكريمة لرعاية أسرتها وأولادها بدون عوز مادي يضطرها إلى خوض الحياة العملية على حساب هذه الواجبات الأساسية .

ولا يعنى هذا أن العقاد كان رجعيًا في فكره ، بل إن الشواهد كلها تدل على أنه كان مفكرًا تقدميًا من طراز فريد .

العقاد والشعر :

كان للعقاد آراء خاصة فيما يتعلق بأصول ومقاييس الشعر العربى الحديث ، فقد كان يهاجم وبشدة مدرسة الأحياء والبعث التى كان يتزعمها « البارودى ثم شوقى » . وكان هجومه يتناول مضمون الشعر وشكله . فقد دعا « العقاد » إلى تغيير مضمون الشعر وشكله . أما عن المضمون فقد دعا إلى أن يعبر الشعر عن النفس البشرية فى مواجهتها للحياة والوجود تعبيراً صادقاً يعكس شخصية الشاعر وسماته .

وهو مع دعوته هذه إلى تطوير مضمون القصيدة العربية نادى بتحرير الشعر من القافية ، وإلى إعادة النظر فى الأوزان والقوافى ، بحيث يدخل عليها الشعراء كل ما يريدون من تعديل . ولكن المتتبع لإنتاج العقاد الشعرى يلاحظ أنه لم ينطلق أبداً خارج إطار الشكل التقليدى للشعر ، فكان كل ما نظم من قصائد يأخذ الصورة القديمة ، وهذا يدل على أنه قد رسخ فى نفسه أن التجديد المنشود للشعر الحديث إنما هو تجديد المضمون لا تجديد الشكل ، وأن الخصائص الشكلية للقصيدة العربية

جوهر قائم في تناسقها الفني ، بل إننا نراه مهاجماً عنيفاً للتيار الجديد في الشعر الذي غمر العالم العربي فيما بعد .. وهو لم يقف هذا الموقف إزاء مضمون الشعر الحديث وإنما وقف أمام هذا التطور الواسع في شكله واعتماده على التفعيلة دون البيت والقافية ، وكان دفاعه حاراً عن القيم الموسيقية للقصيدة العربية ، وفي هذا الموضوع نشر « العقاد » كتابيه الشهيرين (اللغة الشاعرة) ، و(أشات مجتمعات في اللغة والأدب) .

ويحسن بنا أن نشير هنا إلى إيمان العقاد بالتجديد حينما نجده يدعو إلى الالتزام بالقواعد الفنية وبذلك كل ما هو قيد يحجر على حرية الشاعر في إبداعه الفني .. ومن هنا يفتح المجال - بفكره الثاقب - أمام كل تجديد فني مادام في إطار مدرّوس .. لقد غادر العقاد حياتنا منذ خمسة عشر عاماً ولم يترك وراءه ثروة ولا وريثة .. عاش حياته للفكر والعلم ، وحين سألوه لماذا لم يتزوج . أجاب : إن الحياة الاجتماعية تعطيه الفرصة لكي يتفرغ لحبه لقلمه ، وبدلاً من أن تمتلئ أركان بيته بالآثاث الفخم والرياش اللثين . امتلأت بآلاف من الكتب والمراجع والأوراق . وبدلاً من أن يترك في الحياة أبناء يحملون اسمه ترك اسمه على صدر ثمانين كتاباً تعد كلها حججاً في موضوعاتها .

لقد ترك « العقاد » بصماته على ثقافة كل قراء العربية من الرباط إلى بغداد .. ومازالت مؤلفاته إلى اليوم تحتل مكانها المرموق على أرفف المكتبات العربية تحكي إلى جانب مضمونها العلمي أعظم قصص الصمود والتحدى . وفي جنوب مصر في مدينة أسوان أقيم نصب تذكاري من الرخام الأبيض تحيط به حديقة خضراء مساحتها نصف فدان ، تضم نافورة ترمز لتدفق فكر « العقاد » وتجدد ثقافته .

كما أقيم في عام ١٩٧٣ في أسوان متحف يضم الممتلكات الشخصية « للعقاد »

وهى تشمل الأوسمة وشهادات التقدير ، ومن أهمها جائزة الدولة التقديرية في الأدب والتي حصل عليها في عام ١٩٦٠ .

كما يضم هذا المتحف الهدايا التذكارية التي حصل عليها « العقاد » في حياته وملابسه الشخصية كالطربوش والعصا والكوفية ، التي كان يرتديها دائماً ويشتهر بها . كما ضم كذلك محتويات (بيت العقاد) في مصر الجديدة والتي تحدث عنها في كتابه (في بيتي) .

وفي قصر ثقافة أسوان على شاطئ النيل العظيم ارتفعت منذ خمس سنوات لافتة تحمل اسم (مكتبة العقاد) .

فقد أهدت أسرة المفكر العظيم محتويات مكتبته في منزله بأسوان (وهى حوالى أربعة آلاف كتاب) إلى قصر الثقافة لتكون في متناول يد رواد القصر من الشباب ومحبي الثقافة .

وفي وسط المكتبة تقرأ كلمة من آخر كلمات العقاد ..

(التجارب لا تقرأ في الكتب .. ولكن الكتب تساعد على الانتفاع بالتجارب) .

ثلاثون عاما على وفاة الملاح التائه *

ولد ملاحا .. لكنه مات قبل أن يصل إلى المرفأ .. !

ياليت لى كالفراش أجنحة أهفو بها فى الفضاء هيانا
أدف للثور فى مشاركته وأغتدى من سناه نشوانا
وأرشف القطر من بواكره فلا أرود الضفاف ظمبانا

لم يعرف الشعر العربى شاعراً قدّم اعترافاته لقرائه وسامعيه مثل على محمود طه .. هذا الشاعر الذى عرفته الأوساط الفنية فى مصر من منتصف الثلاثينات وحتى نهاية الأربعينات والذى خلّد اسمه فى تاريخ الأدب ثمانية دواوين ، أولها الملاح التائه ١٩٣٤ ، وآخرها شرق وغرب ١٩٤٧ ، كما لم تعرف الحياة الأدبية فى مصر شاعراً اختلفت الآراء حوله وحول إنتاجه مثل هذا الشاعر الذى تغنى بالليالى الحمراء والخمر بنفس العذوبة التى تغنى بها للحرية والنضال .

ولد على محمود طه فى عام ١٩٠٢ فى ريف قريب من مدينة المنصورة وفتح عينيه على غناء الطبيعة وتراتيلها ، وأكاد أتخيله صبيّاً يداعب ماء الجدول ويتسم للزهرة التى توشك أن تتفتح ، ويتعلق نظره بأغصان الأشجار وهى تتعاق وتباعد .. أكاد أتخيله عابداً صغيراً فى محراب الكون الكبير ..

• نوفمبر ١٩٧٩

ثم درس على محمود طه العارة في مدرسة الفنون التطبيقية فأضافت هذه الدراسة إلى نفسه الشاعرة الهائلة لمسة منظمة متأنقة .

عاش على محمود طه الشطر الأول من حياته منطقياً منعزلاً عزوفاً عن حياة الهرج والمرج ، فكان شعره في هذه الفترة حزيناً دائماً ، يردد أنغام الألم والعدايب ربما كان هذا لطبيعة الحياة الاجتماعية المتقلقة في هذه الفترة ، وربما لأنه صدم في حبه الأول صدمة هزته ، فأدمعت قوافيه فجاءت أبياته شاكية متأوهة ؟؟ ..

وربما لأن السمعة العامة للأدب المقروء في هذا الوقت كانت تميل إلى ما يسمى بالرومانسية الوجودية التي تتميز بالمزاج المتقبض والتشاؤم - ربما .

المهم هنا أن على محمود طه كان في الفترة الأولى من حياته وقبل أن يبلغ الثلاثين من عمره شاعراً حزيناً حمل بين أصابعه نايه الصغير وجلس تحت شجرة عجوز وراح يحكي ، وأظنه فطن في هذا السن الناضج إلى أن الأيام تجري به ومعه وأنه يخسر بهذا شبابه ، فرمى الناي في النهر ، وحطم شجرته العجوز وصنع من خشبها زورقاً جديداً جميلأ ركبه وراح يحول أنحاء العالم سائحاً وقارناً يفتش عن الجمال ويبحث عن اللذة

ودع على محمود طه الدموع أو قل إنه سكبها في كأسه وراح يسكر بخمر الدن ويفيق على ضحكة امرأة لعبوب ، ويفنى فتهتز لألحانه قلوب قارئيه .
ولكى ندرك أعماق التغير الذي طرأ على شخصية شاعرنا نقرأ بيتين من كل مرحلة من هاتين المرحلتين .

في المرحلة الأولى يقول في قصيدته (غرفة الشاعر)

أيها الشاعر الكئيب مضى الليل ومازلت غارقاً في شجونك
مُسلاً رأسك الحزين إلى الفكر وللشهد ذابلات جفونك

ومن أشعاره فى الفترة الثانية هذه الأبيات التى يرد فيها على سؤال صاحبه (أنت ؟؟) .

فقال ما حياتك ؟ قلت حلم من الأشواق أوتر أن أطيله
حياتى قصة بدأت بكأس لها غنيتُ وامرأة جميلة

وهكذا مضى شاعرنا فى رحلته مع الحياة اللاهية وإن كانت الأيام لم تتركه بنعم
بهذه اللذة العابرة ، فأرسلت بدءاً قاسية تعهدت بأن تزرع فى قلبه شوكة تتحرك فى
داخله وتسرع بالنهاية ، فودع على محمود طه عالمنا فى ١٧ نوفمبر من عام ١٩٤٩
وهو مازال يحلم بعناق أطول وأجمل مع الحياة .

* * *

كان على محمود طه واحداً من رواد المدرسة الرومانسية الغنائية العاطفية فى
مصر.. وينتمى إلى هذه المدرسة أحمد زكى أبو شادى وإبراهيم ناجى وصالح
جودت وأحمد رامى .

ومن الخصائص العامة للشعر الرومانسى الميل إلى التحدث عن الطبيعة
واعتبارها الأم الحانية والمهرب من واقع الحياة المؤلمة ، كما تكثرت فى شعر الرومانسيين
الموضوعات النسائية ، وهم ينظرون إلى المرأة على أنها إنسان له خصائصه وحقه فى
الحياة واللذة ، وهم قلما يناقشون العلاقة بين الرجل والمرأة من زاوية التحريم
أو التجريم ، بل هم يحملون المجتمع دائماً مسئولية أى إثم أو أية خطيئة .
ومن خصائص الرومانسيين كذلك الميل إلى الحزن والشكوى من العذاب ،
فأشعارهم دائماً مبللة بدموعهم محترقة من نار أنفاسهم .

هذه الخصائص الموضوعية تنقلنا إلى خصائص تعبيرية يتميز بها الأدب
الرومانسى : مثل الخيال المجنح والاهتمام بالصور والأخيلة ، والبحث عن الغريب

منها واستخدام الألفاظ الموحية والتراسل بين الحواس .
 وكان لعللى محمود طه سماته الخاصة كواحد من الشعراء الرومانسيين ، وعن هذه السمات يقول د. أحمد هيكل عميد دار العلوم :
 يأتى على محمود طه فى طليعة شعرائنا الرومانسيين ومن سماته الخاصة التحليق بالشعر والميل إلى خلق جو شعرى ، وإشاعة عطر ونشوة شعرية من خلال قصائده ، وهو فى ذلك يبتعد عن المعانى الفلسفية العميقة وعن المزاج الكلاسيكى ، وهو يصنع بقصائده جواً أثيراً محلقاً ، ولا نكاد نجد عنده مضموناً عميقاً ، أو معنى فريداً .

ولا يعنى هذا أنه كان شاعراً لفظياً ولكنه كما يقول عنه النقاد (شاعر التحليق الشعرى والجو الصافى) .

وبحزنا حديث د. هيكل إلى قضية هامة تتعلق بتقييم إنتاج على محمود طه ، فقد اتهم البعض بأنه شاعر لفظى ذلك أنه ابتعد عن المنهج الفكرى والفلسفى ، واقترب من المنهج الوصفى مستعيناً بقاموس لفظى متميز بالموسيقى الداخلية والخارجية ، فقال عنه د. شوقى ضيف فى كتاب الأدب العربى المعاصر فى مصر .

(إن الخصائص الفنية لشعر على محمود طه تعود فى جملتها إلى خصائص لفظية ، فليس على طه صاحب نزعة فلسفية فى شعره ، إنما هو صاحب لغة شعرية تبعث النشوة فى نفس سامعه وقارئة بألفاظها البراقة وما تحمل من رنين يبدع فيه ويفتن ، ولكنك إذا أنعمت النظر فى هذا الرنين لم تجد فيه فكراً بعيداً ولا معنى عميقاً ، وإنما تجد فيه الألفاظ التى تضغط على الأعصاب بجبال ألحانها وأنغامها ، فأنت عنده قلما تجد شيئاً يتمتع عقلك ، وإنما تجد الألفاظ الشعرية المشعة والموحية ... وكانت للشاعر ملكة جيدة يعرف بها كيف يجمع هذه الألفاظ

ويراكمها في الشعر فتؤثر في سامعيه ، وكأنها تغلق الأبواب عليهم فإذا هم قد وقعوا في شباكهـا) .

ولكننا في قراءة التراث على محمود طه قد نختلف مع د. شوقي ضيف ، ذلك أن اهتمام شاعرنا بموسيقية اللفظ وأناقته وإيجاعاته العديدة لم يصرفه أبداً عن الأبعاد الإنسانية العميقة التي تحدث عنها ، فهو من الشعراء القلائل الذين استطاعوا أن يخرجوا من قواقعهم الخاصة ، ليناقشوا قضايا الإنسان كإنسان خلق على هذه الأرض ليحيا حياة سعيدة ، لا لكي يعاني الشقاء منذ يوم مولده وحتى يوم وفاته ، لكنه كشاعر رقيق لم يرفع صوته بالخطب الرنانة ، ولم يخاطب الساسة ولا الدول ، وإنما خاطب قلب الإنسان البائس والمعذب ، وكانت دموعه محاولة منه لتكفيف دموع الآخرين .

فكان كما قال عنه صديقه الناقد أنور المعداوي (ليس شاعراً من أولئك الذين يصوغون الحياة أفكاراً منظومة مجردة من أثواب الشعور ، وليس شاعراً من أولئك الذين ينقلون الحياة نقلاً آلياً لا روح فيه ، ولكنه من أولئك الذين يتفردون بالذاتية والأصالة عند تصوير الحياة في لحظات التوهج والتوثب والانطلاق) .

ويعود الناقد أنور المعداوي فينبني صفة الأداء اللفظي عن أشعار على محمود طه ، ويؤكد أنه شاعر الأداء النفسي ويقول : (شاعر الأداء اللفظي هو من يعنى بالموسيقى الخارجية ليجذب سمعك ، وشاعر الأداء النفسي هو من يعنى بالموسيقى الداخلية ليجذب شعورك . وهنا مفرق الطرق بين موسيقى تستمد رنينها من اللفظ وحده لتهمز منافذ الأذن ، وبين موسيقى تستمد رنينها من النفس لتهمز مسارب العاطفة) .

ورغم هذا الاختلاف في الآراء حول شعر على محمود طه ، إلا أن الكل قد أجمع على أنه كان الشاعر الأول في مصر يعد وفاة شوقي أمير الشعراء ، وعلى أن

نزعت الإنسانية الطاغية جعلت أشعاره تقرب من العالمية بثبات يؤيدها فيه إنسانية
قضاياها ، ورقة تناولها .

لقد كان على محمود طه فناً ملتزماً بقضايا عصره ، في نفس الوقت الذي
عاش فيه أعماق نفسه يصورها ويحللها ، وكما شغل بقضية حريته وانطلاقه من قيود
الوحدة والملل ، شغل بقضية التحرير الكبرى التي عاشتها الشعوب العربية كلها في
النصف الأول من هذا القرن ، وكما عاش تجربة الاختيار على المستوى الشخصي ،
عاش تجربة الاختيار على المستوى القومي ، وكانت فلسطين بتجربتها المريعة هي
أكثر القضايا القومية التي تحدث عنها على طه في أشعاره ، وخاصة في ديوانه
(شرق وغرب) و(الشوق العائد) .

لم يكن على محمود طه إذن شاعر وادى النيل فقط وإنما كان شاعر عروته بل
وإنسانيته ...

لقد أبدع لوطنه الصغير مصر أبياتا بعد أبيات تفيض كلها حبا ودعوة للحرية :

يا بحر ما بك ما بي ! مصر ما بعدت
ولى إليها بهذا الشعر إسرائ
عجبت والعصر حر كيف في يدها
هذا الحديد له حز وإدما
أقسمت لأرجعت بي فيك جارية
إن لم تنجني عن جلاء القوم أنباء
- ثم هو عربي مؤمن بعروته وتاريخها ومستقبلها :
أى التخوم تناءت بين أربعها
لها من الروح تقريب وإدناء

أرض عليها جرى تاريخنا وجرى
دم به كتب التاريخ أبناء
مبارك غرسه منه بأندلس
والقنادسية والديموك أجناء

وهو إنسان تهزه البطولة الإنسانية حيثما كانت وتشغله قضية الحرية مهما كان
وطنها وعن (ستالينجراد) يحدثنا على محمود طه بعنوان (المدينة الباسلة) .

طلعوا جبابة عليك وثاروا ووقفت أنت وروحك الجبار
عصفوا ببابك فاستبيح فلم يكن إلا جهنم هاجها الإعصار
حرب إذا ذكرت وقائع يومها شاب الحديد لها والنار

ولم يكن إعجاب على محمود طه بالبطولة قاصرا على أحداث زمانه والقضايا
التي عاشها .

بل إنه كان يعيش البطولة حيثما وجدت ووقتها كانت ، ومن التاريخ استلهم
على طه قصيدته : (طارق بن زياد) ، كما يظهر من خلال انتاجه مجتمعا ، قدر
ثقافته التاريخية العربية أو غير عربية ، مستلها من التراث الأسطوري والتاريخي
ما يطعم قصائده من درر هذا الماضي وذلك .

لقد رحل عنا على محمود طه منذ ثلاثين عاماً ، حظي خلالها باهتمام النقاد
والدارسين وقدمت لنا المكتبة العربية عشرات الدراسات حول أعماله وحياته .
وعن تأثير الشاعر على محمود طه على أجيال الشعراء من بعده يقول الإذاعي
الشاعر فاروق شوشة :

- نقلنا على محمود طه من التجارب التقليدية التي قدمها البارودي وشوقي
وحافظ إلى خيال مجنح رحب جديد استمدته من اتصاله المباشر وغير المباشر

بالحضارة الغربية ، كما قدم لنا تجارب شعرية جديدة تظهر فيها قمة اليقظة والتأمل والإحساس بالإيقاع ، ثم بهرنا على محمود طه بقدرته على أن يولد من اللحظة السياحية صورة شعرية ، وهو صاحب الفضل في تعريف القارئ العربي بنماذج من الشعراء الأوربيين أمثال (رامبو) و(لامارتين) و(هوجو) و(زولا) و(بيرون) .

* * *

انتهت أسطورة على محمود طه (الملاح الثائه) بعد أن شارك في أكبر ثورة في الشعر العربي الحديث .. هذه الثورة التي مهلت الطريق إلى ظهور جيل الواقعية العقلانية الحديثة الذي تزعمه صلاح عبد الصبور وأحمد حجازي ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب وغيرهم .

صورة بالكلمات للفنان « سيف وائل » *

وائل : عبقرية مزجت الحضارات في فرشاته .. بدر الدين أبوغازي

وائل : فنان شفاف كالبلّور .. حسين بيكار

وائل : أحب الموسيقى فصور أعلامها مدحت عاصم

انطفأت الشمعة ، ومازال نورها يملأ عيون عشاق الجبال ، وأفل النجم
ومازال معلقاً في سماء الفن رمزاً للحب والخير.

رحل الفنان « سيف وائل » ابن الثغر العصامي الأصيل ، وترك وراءه تراثاً
رائعاً من الأعمال الفنية العظيمة التي تعتز بها مصر وطنه الكبير ، وتعتز بها
الإسكندرية وطنه الأثير ، لم يجلس « سيف » أبداً على مقاعد المدرسة ليتلقى دروساً
في الفن ولكنه ترك أعمالاً تستغرق جهد عشرات الدارسين الذين سيتناولون هذا
الفنان وأعماله بالدراسة والبحث .

عشق البحر والشاطئ ، وأحب راقصات الباليه ، وبنات بحري ، وقضى
ساعات طويلة يستمع لأشهر الأعمال الموسيقية العالمية ، ثم صور أصحابها من وحي
أعمالهم . أحب الحياة .. فوضعها على طرف فرشاته ، وأحب الجبال فجسده
بألوانه .. كان سخياً بفنه وقلبه ، فترك عشرات الذكريات الطيبة مع مئات
اللوحات التي تحمل توقيعه كأعظم ما يحمل الابن من ميراث أبيه .

٥ فبراير ١٩٧٩

طالعنى اسمه فى عديد من صالونات أصدقائه ومكاتبهم .. فى بيت ابن الإسكندرية الفنان « حسين بيكار » ، وشيخ الموسيقين « مدحت عاصم » ، وفنان مصر الأصيل « راغب عياد » ، كما طالعنى لوحاته فى ردهات مؤسسة الأهرام ، ورأيت ملامح « سيف وانلى » داخل أطر هذه اللوحات وبين ظلال أشكالها .

كلما بدأت الحديث عنه مع أصدقائه ، سبقت تعبيرات الحب على وجوههم كلمات التقدير والعرفان ، وأحسست الأسى فى العيون ، فقد أغلق الموت كتاباً رائعاً ظل مفتوحاً لأكثر من سبعين عاماً حافلة بالعطاء والجمال . مع وزير الثقافة السابق الفنان « بدر الدين أبوغازى » كان لى حديث طويل حول فارس جيل الرواد من التشكيليين « سيف وانلى » . قال لى الوزير « بدر الدين أبوغازى » :

« ويشكل « وانلى » ظاهرة .. فهو متفرد فى العديد من مظاهره الفنية والشخصية .. وهو فنان بارز ضمن جيل الرواد .. هذا الرعيل الذى أرسى دعائم المدرسة المصرية فى الفن منهم (محمود سعيد ، ومختار ، ومحمد ناجى ، ويوسف كامل ، وأحمد صبرى ، وراغب عياد ، ومحمد حسن) .

إلا أن وانلى يختلف فى بدايته عن بدايات الآخرين .. فقد انشغل معظم هؤلاء بقضية اختيار النغمة المصرية الصحيحة ، والبحث عن الشخصية المصرية فى الفن ، فى حين اتجه « وانلى » إلى معالجة موضوعات جديدة كل الجدة عن اهتمامات الرسام أو المصور المصرى . فقد بدأ يصور الأوبرات والباليهات الأجنبية التى ملأت مسارح الإسكندرية .

وبدأ « سيف » يسجل بخطوطه الخاصة الحركة فى سيقان الراقصات وأذرعهن ، وبدأ يعبر باللون والضوء عن روح الموقف ويسجل موسيقاه . وكانت هذه البلاغة فى التعبير ووضوح الخط وقوته بداية تحديد شخصية « وانلى » الفنية .

وأصبح « سيف وانلى » فى هذه الفترة وبحق يقف على نفس المستوى مع الفنان الفرنسى التأثيرى (دينجا) الذى اشتهر بتصوير الباليهات .

ومضى الوزير الفنان « بدر الدين أبوغازى » فى حديثه عن « سيف وانلى » :
كان « وانلى » ذكياً ، فهو لم يحاول أن يربط نفسه بشعارات ، أو أن يدعى أن له منهجاً خاصاً به .. بل انطلق يعبر وبحرية من خلال اللون والخط والموضوع عن نفسه ، وعن بيئته ، عن العالم المشرق حوله .

وتظهر عبقرية « وانلى » عندما كان يستخدم اللون الأزرق ، وهو لونه المفضل فى التعبير عن مختلف الأحاسيس والمعانى . فقد عبر به عن الشروق والغروب ، والحزن والسعادة والأمل ، واستطاع « وانلى » أن ينفذ إلى لغة اللون . وكان مبدعاً فى تنويعاته المختلفة للون الواحد . فقد كان اللون هو محور لغته التشكيلية وأداته لتوصيل نفسه إلى المشاهد .

وكان « وانلى » دقيقاً كذلك فى رسمه للشخصيات ، وتخطى مرحلة التصوير الفوتوغرافى والنفسى ، واستطاع أن ينفذ إلى أعماق الشخصية من خلال اللون والخط .

ويرى الأستاذ « بدر الدين أبوغازى » أن مجموعة صور الموسيقى التى رسمها « وانلى » تعتبر إعجازاً خاصاً بهذا الفنان الذى أحب هؤلاء الموسيقيين وعشق موسيقاهم .

وتعد هذه المجموعة (المينياتور) من أندر المجموعات فى العالم كله . كما تفرد « وانلى » بين فنانى مصر بتصوير القطع الموسيقية وتحويلها إلى لوحات نابضة بالإيقاع حافلة بالنغم .

ووانلى فى رأى الأستاذ « بدر الدين أبوغازى » ، يعبر بصدق عن عبقرية مصر فى القدرة على صهر الجنسيات والحضارات المختلفة ومزجها فى بوتقة واحدة تصبح

بعدها هذه الألوان من الثقافة لونا فريداً مميزاً واضح الملامح . ففي شخصية « وائلى » الفنية تتمتع ، رواسب الحضارات المختلفة الأجناس والتيارات والمدارس المتعددة ، وفي نفس الوقت يبق « وائلى » بطابعه المميز علماً على الأصالة والمثابرة . ولكن كيف تخلد مصر ذكرى فنائها العظيم ؟

يجيب وزير الثقافة السابق « بدر الدين أبوغازى » :
يُعد « سيف وائلى » من أكثر فناني عصره فى الإنتاج ، ومن حسن حظ كفتان أن فنانة مخلصه « كإحسان مختار » عاشت فى مرسمه ومرسم أخيه سنوات وسنوات واستطاعت بحكم هذه الصلة أن تساهم بدور إيجابى فى جمع إنتاج هذا الفنان الكبير ليضمه متحف يقام فى مدينة الإسكندرية .
إن (ركن وائلى) - إذا قدر الاهتمام به - يحتل مكانه فى المعارض العامة التى تهتم بفناني عصره كما أن منزله ومرسمه ينبغى أن يكونا مزاراً ومتحفاً يحمل اسمه كما هى الحال مع الفنانين الكبار فى أى وطن ..

وهناك ظاهرة خاصة بالفنان « سيف وائلى » ، هى أن إنتاجه كل منتشر وموزعاً فى أكثر من مكان ، فكم من لوحات له عند أصدقائه وأحبائه وفى المؤسسات والهيئات المختلفة . إن جمع هذه الأعمال وتوثيقها فى كتاب خاص أو (كتالوج) ، هو رسالة كبرى يجب أن تضطلع بها الهيئات المعنية فى مصر ، حفاظاً على تراث هذا الفنان العظيم .

ويضيف الأستاذ « بدر الدين أبوغازى » : لن ينسى أصدقاء « وائلى » ومعارفه تقليده الجميل الذى كان يحرص عليه منذ أكثر من نصف قرن وهو إرساله بطاقات تهنئة بالعيد مرسومة بريشته إلى كل أصدقائه ، وكانت كل بطاقة تحمل رسماً خاصاً بها .. إن جمع هذه البطاقات لعرضها فى كتاب واحد سيكون شيئاً رائعاً فى حد ذاته .

ومع الفنان «حسين بيكار» جاء الحديث مسهباً عن «سيف وانلى» .. وعندما تحدث «بيكار عن وانلى» أحسست بندى الحب يبلل كلماته ، والإخلاص يعطر عباراته ، فالصلة وطيدة .. فهما من مواليد الإسكندرية ، وتربتهما صلات أخوة وصداقة وزمالة فن وفهم عميق متبادل .. قال لى «حسين بيكار» :

بدأ «وانلى» رحلته من المرحلة التقليدية ، وهى المرحلة التى يبدأ بها كل فنان حياته . وإن كان «وانلى» قد بدأ بعيداً عن المدارس والمعاهد فالإسكندرية كانت تخلو من المعاهد الفنية النظامية وقت أن بدأ «سيف» حياته الفنية ، لكنه كان دائم التردد على مراسم الأجانب التى كانت تزخر بها الإسكندرية فى هذه الآونة . وهناك درس إخوان «وانلى» (سيف وأدهم) أبجديات الفن ، ورغم بعد «وانلى» عن الدراسة النظامية فإن نزعة التقدمية وحبه للتطور جعلته فى هذه المرحلة المبكرة يتأثر بالمنهج التكميى فى الرسم ، وكان منهجاً سائداً وقتها . لكن «وانلى» لم يقلد غيره ولم يتأثر بعشوائية ، بل إن تأثره كان تأثيراً مدروساً ومتفهما لإمكاناته وطبيعته ، فكانت عين الفنان عند (سيف) تلخص الرؤى والمناظر حوله ، وتبسط الخطوط تبسيطاً جالباً . فتصبح لوحاته كقطع الموسيقى الهادئة ، تعطى مضمونها فى إيقاع رقيق هادئ .

وبدأ وانلى بعد هذه المرحلة فى مرحلة جديدة كل الجدة على الفن فى مصر ، فقد لفت نظره الفرق الأجنبية التى تزور الإسكندرية لتقديم عروض الباليه والأوبرا على مسارحها ، ولفتت نظره الأضواء والألوان والحركة ، وجذبته بما فيها من جديد ، ونقلت ريشته الحساسة حركة الجميع ، وتأثير الإضاءة بمهارة لفتت إليه الأنظار وقتها ، وكان أول معرض لإخوان «وانلى» فى الخمسينيات ظاهرة فنية جديدة حتى أطلق عليه البعض اسم (ديجا الشرق) .

ويقول الفنان حسين بيكار عن لوحات هذه الفترة :

(هذه اللوحات تعطيني إحساساً بعذرية الريشة التي ترقص على اللوحة البيضاء فقد كانت راقصات وانلى مثل الفراشات الحلمات ، وكان اللون المصفى الذى يستعمله وانلى فى هذه اللوحات يعطى دائماً إحساساً بالراحة والاسترخاء النفسى والسعادة والإشراق .. »

« فوانلى » فى رأى (بيكار) فنان صادق ، شفاف مثل البلور .. ليس به ازدواجية ولا تعقيد وهو يقول عنه .. لقد مضى « وانلى » يعزف بفرشاته الناعمة أحلى نغمات الأوبرا والباليه . ولكنه لم يقف عندها متجمداً ، بل بدأ يتأثر بالمدراس العالمية ويؤثر فيها .

فجرد « وانلى » رسوماته ، وعبر عن مضامين لوحاته بخطوط قليلة ، ثم حور هذه الخطوط لخدمة التكوين الجمالى فى اللوحة ، وقطع وانلى فى هذا الاتجاه شوطاً كبيراً .. ومن أعظم أعماله فى هذه الفترة (مرثية أدهم وانلى) إلى جانب عدد من أعماله للطبيعة الصامتة .. وفى هذه المرحلة التجريدية بدأ « وانلى » تجربة جديدة كل الجدة على الفن فى مصر ، وهى رسم القطع الموسيقية فى أشكال وألوان إيقاعية ، وبرع « وانلى » فى هذا حتى أن لوحاته تكاد تنطق بألوانها ومساحاتها بإيقاع القطع الموسيقية التى أراد أن يعبر عنها .

كما يعترف تاريخ الفن عامة « لوانلى » بفضل رسم أشهر مجموعة من (المنمنمات) ، أو الصور (المينياتور) لأعلام الموسيقى فى العالم ، متأثراً بصورهم وأعمالهم ، وكان يقول إن الصور أعطته ملامح هؤلاء ، لكن موسيقاهم أعطته أعماقهم ، فأصبحت مجموعة صورهم قبة الإبداع فى أعمال « وانلى » ، خاصة وأعمال فنانى عصره عامة .

وفى سنوات « وانلى » الأخيرة . بدأت رسوماته تأخذ طابع التصوف والذوبان

والصفاء ، فتحولت الطبيعة إلى أطياف والشعوص إلى أشباح ، وأصبحت لوحاته إحساساً باللاتناهي المطلق ، لقد بدأت روح « سيف » في هذه الفترة تنصهر داخل بوتقة فنه ، وتذوب فيها الخطوط والملاحم وتختفي ، إلأ من آثارها الهائلة في اللا وجود ، ويرى الفنان « بيكار » أن هذا الإحساس ربما كان تنبؤاً من « وائلى » بقرب نهايته .

وبعد رحلة طويلة مع ريشة « سيف وائلى » أسأل الفنان « حسين بيكار » كيف ترسم لنا صورة « وائلى » بالكلمات .

— كان « وائلى » ، مثالا للعصامية ، فهو لم يتلق تعليماً نظامياً فى أى فرع من الدراسة ، فنى أو غير فنى . ولكنه استطاع أن يثقف نفسه ثقافة شاملة خلقت منه فناً متفتحاً متطوراً ناضج التكوين ، وأضحى بحق أستاذاً فى الفن « السهل الممتنع » فإعجاز « وائلى » كان يكمن فى بساطته المتناهية ورقته وشفافية تعبيره . وكان « وائلى » يجيد التعبير عما فى نفسه من خلال الفرشاة والألوان فحسب ، فقد كان قليل الكلام مقتضب الحديث وإن كان عذباً فى تعبيراته ، وكما كان « وائلى » سحياً بجزبه لا يبعث بها على أحد ، كان كذلك معطاً بفنه ، فكم من أعمال له عند أصدقائه وزملائه ؛ لقد انتشر « وائلى » فى كل ركن من مصر من خلال أعماله الموجودة فى كل مكان .

ويختتم الفنان « حسين بيكار » حديثه عن « سيف وائلى » قائلاً :
لقد ذهب « وائلى » بجسده ، ولكن فنه لن يذهب أبداً ، فهو خالد خلود القيم العليا فى الحياة .. خلود الحق والخير ، والجمال ، والحب .

* * *

وفى ركن جذاب من صالون شيخ الموسيقيين الفنان « مدحت عاصم » رأيت لوحة صغيرة تمثل بيانو أسود ضخماً على مساحة رمادية اللون .. وفى أعلى اللوحة توقيع الفنان « سيف وانلى » بالحروف اللاتينية (سيف) وفى الركن الأيسر إهداء بالقلم الرصاص من « سيف وانلى » إلى الموسيقار « مدحت عاصم » .
ويقرب « مدحت عاصم » من اللوحة التى تحيطها الغصون الخضراء ويحكى قصتها .

أهدانى « سيف » هذه اللوحة فى عام ١٩٧٣ .. وكنت قد أفتت له حفل تكريم بمناسبة حصوله على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون ، وطلب منى ليلتها أن أعزف له على البيانو ، وأن أقرأ له شعراً .

وكان طوال السهرة يجلس فى صمت ويتأمل :
وبعدها بأسابيع كنت فى زيارته فى الإسكندرية ، ولما دخلت مرسمه لفت نظرى لوحة مغطاة ، وسألته عنها فقال .

- إنها أنت !

- أنا تحت الغطاء ؟ !

- نعم ..

ورفع « سيف » الغطاء عن هذه اللوحة وقال لى .. أهديك إليك يا « مدحت » .

وبصمت الموسيقار « مدحت عاصم » ثم يستعيد ذكرياته مع صديق حياته « سيف وانلى » .

- كان « سيف » مثالا رائعا للفنان الحقيقى ، كان هادئاً .. رقيقاً .. بشوشاً .. لبست له هواية بعد الرسم لإسماع الموسيقى .. وكان شديد الارتباط بوطنه الإسكندرية ، فكان يعشقها بكل ما فيها . وكانت أسعد أوقاته هى التى يقضيها

أمام البحر يسمع منه أنغاماً لم يكن يسمعها سواه . وبعد تأمل طويل كان « وائل » يعتكف في مرسمه ، وكان دائماً يقول لى :
أنا موسيقى ، وريشتى هى القيثارة التى أعزف عليها أنغامى على لوحاتى البيضاء .

ويمضى الموسيقار « مدحت عاصم » فى حديث عن الرسام « سيف وائل » .
- كان عند « سيف وائل » أكبر موسوعة لتاريخ الموسيقى فى العالم ، وهى للعالم الإيطالى (ريكوردي) وبلغ به العشق للموسيقى أنه صور جميع الموسيقين العالميين ، وكانت صورته (لبتوفن) هى أحب لوحاته إلى نفسه .
وكان « وائل » يقتنى عدداً من القطع الموسيقية العالمية ، وبلغ من حب « سيف » للفن أن جعله كل حياته . ولم يكن له من حديث إلا عن الفن ، وإذا دار الحديث عن أى شىء آخر فإنه يصمت تماماً ويذهب فى تأمل بعيد .. وكان يقول دائماً إن الخير هو الجلال .. والجمال هو الخير .. فكل عمل فنى جميل يحمل بالضرورة دعوة للخير .

ويصمت الفنان « مدحت عاصم » قليلاً ثم يقول وكأنه يحدث نفسه :
كانت برقية « سيف » هى أول ما وصلنى من تهنئة بعد حصولى على جائزة الدولة التقديرية هذا العام (١٩٧٩) ، واتصل بى بعدها تليفونياً وقال : سأحتفل بك بعد عودتى من جولة شمال أوروبا . . وسيكون حفلاً رائعاً . . وسافر « وائل » إلى السويد . . وقرأت فى الصحف نبأ وفاته هناك .

الحب وماديات العصر *

هل هناك وقت للحديث عن الحب في مجتمع آلى يرى
الأشخاص مجرد تروس في عجلة الحياة الحديثة ؟.

هذا سؤال نطرحه على أنفسنا كل يوم وفي كل وقت .. حتى أن الحب أصبح
في حياتنا مشكلة ... ورغم هذه الحقيقة التي نردها في أحاديثنا كل يوم فإن عددًا
من المفكرين يرى الحب حلا لكل مشاكل الحياة وعلى رأسهم المفكر العربي
« جلال الدين الرومي » الذي يقول (إنني أستطيع أن أفسر لك كل ألغاز الخليفة
وليس الحل الأوحـد لكل الألغاز سوى الحب) ثم يأتي « د . زكريا إبراهيم » فيقول
(إذا كان الفلاسفة التقليديون قد درجوا على اعتبار القيم ثلاثة ، وهى الحق والخير
والجمال .. فإن الفيلسوف المعاصر لم يعد يجد حرجاً في أن يضيف إلى هذه القيم
الثلاث قيمة رابعة ألا وهى (الحب) ، فالحب هو الذى يخلع على تلك القيم
الثلاث كل ما لها من قيمة .

ومع كل المتغيرات التى يعيشها عصرنا ومع كل المشاكل وحلول المشاكل ، فإن
(الحب) يبقى قيمة تمثل الحلم والأمل في خلاص إنسان العصر الشقى والمطحون بين
تروس الواقع الاقتصادى والاجتماعى والحضارى الجديد .

• صفحة الفكر ملحق الأهرام مايو ١٩٨٠ .

فهل غيرت هذه الحضارة الجديدة في (موضوع الحب) أو بمعنى آخر . هل الحب كما تقرؤه في كتب الأدب والفن القديم .. مازال هو الحب الذى نحياه مع أباؤنا هذه ؟ .. وهل أباؤنا مازالت أيام حب ؟

سؤال طرحته صفحة الفكر على عدد من المتخصصين فى أكثر من فرع من فروع الدراسات الإنسانية . وبدأنا مع د . أحمد هيكل « أستاذ الأدب الحديث بكلية دار العلوم .

- هل قتلت الحضارة الحديثة (الحب) . قال

- الحقيقة إن موضوع الحب باق ما بقى الإنسان مهما تغيرت الظروف المحيطة به وكلما قسّت الحياة فى تطورها على هذا الإنسان وحاولت أن تقهره لكى يكون رسأ فى آلة . فإنه بالضرورة يحتاج إلى مهرب يحكم طبيعته وفطرته ، ويحكم نبض قلبه ويحتاج إلى متنفس ونسيم نقي يطهر رثيته من فساد الأجواء .

والحب فى رأى « د . أحمد هيكل » قيمة متطورة فلماذا للإنسان إلا من خلال هذه القيمة النبيلة مهما تغيرت مفاهيم عصره المادية .

- هل يدخل التوافق الفكرى فى علاقات (الحب) ؟

- يقول « د . أحمد هيكل » .

- ليس من السهل أن يلتقى محبان وأن يستمرا إذا اختلفت نزعتها الفكرية بشكل صارخ فالحب فى مفهومه هو الانجذاب التلقائى المسعد من شخص تجاه شخص آخر نتيجة لارتباطات وذكريات وتجارب سارة يتوجها التقاء المشارب .

- هل هذا يعنى أن مفهوم الحب هو الحب بين (الرجل والمرأة) ؟ .

- لفظ الحب حينما يُطلق دون تقييد ، فإنه دائماً يعنى الحب بين (رجل وامرأة) أما إذا تحدثنا عن علاقة أخرى فيجب أن نوضحها فنقول حب الوطن وحب والدين وحب الأسرة وهذا التحديد فى التعريف يدخل عنصر التوافق

الاقتصادى فى إطار مقومات هذه العاطفة (الحب) ، وهذه العلاقة (الزواج) ، فقد أزهقت الظروف المادية الحب وهى شرط لكى يسعد المحبون بمستوى أدنى من الإنسانية .

- هل حدث تغيير فى لغة الأدب بتغيير العصور والبيئات وهل مازال الحب والشعر مرتبطين ؟

- طبعاً .. تتغير لغة الفن الأدبى من عصر لآخر خاصة عندما تعبر عن عاطفة الحب ، فثلاً لغة الشعر العربى القديم كانت تميل إلى وصف جمال المرأة وصفاً يغلب عليه الجانب الحسى . وعندما تحضر العرب بدأت لغة الحب تتطور وأصبحت أقرب إلى الدعابة والتظرف ، بل وأحياناً تصل إلى حد (التبتل) كما حدث فى شعر « عمر بن أبى ربيعة » ووصل الأمر به وبآخرين إلى الزهو بجماله وجاذبيته هو بدلاً من الحديث عن المحبوبة . وتطور الأمر حتى أصبح الحب الخاضع الدليل سمة من سمات الحب الفارسى ولم يعد يشين الفارس الشديد على أعدائه أن يكون ذليلاً ضعيفاً أمام محبوبته .

ولهذا الحب الخاضع الدليل بقايا عند بعض شعرائنا الغنائيين فى العصر الحديث وإن كان هذا التيار أخذاً فى الاختفاء بعد أن أصبحت كرامة الإنسان وحرية سمة من سمات عصرنا وأصبح الاحترام والمشاركة هما مظهر الحب الحقيقى .

- وماذا عن لغة الرواية والقصة والمسرح .

- كان تناول الحب فى أول عهدنا بالأعمال القصصية والروائية تناولاً رومانسياً حيث يتم التعلق العاطفى بين بطل وبطلة ويعبر الروائى عن هذه التجربة فى أجمل صورها التى تتمثل بالدفع والوجد والهيام وكثيراً ما كانت هذه الأعمال تنتهى بنهاية مفاجئة تثير الشجن والحزن كما فى أعمال « محمد حسين هيكل » ومحمود تيمور وغيرهما .

بعد هذه المدرسة ظهرت المدرسة الواقعية التى تعالج القضايا الاجتماعية فى إطار من الحب كمنصر جذب للقارئ وتأتى (دعاء الكروان) « لطف حسين » شاهداً على هذا الاتجاه حيث جعل الحب والثقافة يقربان بين الطبقات ويقضيان على الصراع الطبقي ثم يأتى « نجيب محفوظ » فيعرض لنا الحب من واقع الحياة ، أو يعرض لنا قطاعات الحياة الواقعية من خلال قضية الحب .

أما المسرح فقد سار فى منهج قريب من منهج الرواية ونرى فى مسرحنا الحديث دليلاً على ذلك فى مسرحية (ليلي والمجنون) ، فقد جعل مؤلفها « صلاح عبد الصبور » من قضية الحب بين البطلين فرصة لكى يعرض لقضايا العصر ويقدم رؤياه المستقبلية .

ومع « د. سامية الخشاب » أستاذ مساعد علم الاجتماع بكلية الآداب سكان حوارنا ..

هل قتلت الحضارة الحديثة الحب ؟؟

قالت « د. سامية » ، لونظرنا إلى الحب من المنظور الاجتماعى فسنراه متمثلاً فى مشاعر الود والتعاطف التى تربط بين الأفراد فى أى من التجمعات البشرية (أسرة - مجتمع - أو غيره ..) ومهما اختلف المستوى الحضارى لهذه الجماعة فلا يمكن أن يخفى الحب من قلوب الأفراد .. إنما الذى تغير هو طريقة تحقيق الحب . فقد اختلفت الوسيلة وإن لم يتغير الهدف ، وهو تحقيق السعادة للإنسان . ونضرب مثلاً على ذلك من عاطفة الأمومة فالأم العصرية عندما تؤدج مولودها بعد أيام من ولادته فى دار للحضانة ثم تذهب لعملها ، ليست أقل حبا لوليدها من الأم التى كانت تنفرد لتربيته وتحفظ به فى أحضانها ليل نهار ، لتكفل له الحب والحنان والرعاية لأن كلا منهما تهدف إلى سعادة الصغير ، الأولى تعمل لتضمن له مستوى مادياً مناسباً يكفل له السعادة ، والأخرى تغمره بحبها وعطفها

لتمنحه كذلك السعادة ، فاختلاف الظروف البيئية هنا يملئ صورة الحب ، بغير الوسيلة ولكنه لا يغير الهدف من العاطفة .

- هل يغير المستوى الحضارى للمجتمع شكل الحب ودرجته ؟ .

هذه الملاحظة فيها كثير من الصحة . ففي المجتمع البدائى تزداد الروابط العاطفية بين الأفراد وتتأكد فى عديد من أشكال التكافل والتعاون ، أما المجتمع المدنى الحديث حيث تعقدت العلاقات بين الأفراد فقد انخفضت حرارة العلاقات العاطفية .

وكما زاد التقدم الحضارى للمجتمع ، اقتربت العاطفة من العملية والمادية وابتعدت عن المثاليات والخيال .

هل هذا يؤكد القول بأننا ابتعدنا فى العصر الحديث عن العواطف المجردة واقترنا من الأحكام العقلية ؟

وترد « د . سامية الحشاش » : إن انتشار العلم والثقافة فى حياتنا المعاصرة جعلنا الإنسان يدخل الاعتبار المادية والفكرية فى اختيارات الحب ، فلم تعد لحظة الانبهار التى تهرق الفتى أو الفتاة هى التى تحدد هل تربط بينهما عاطفة حب أم لا ؟ بل يتدخل العقل ويضع الاعتبار الاقتصادية والفكرية والشخصية معياراً إلى جانب الإعجاب أو الانبهار .

- للحب إذن وظيفة اجتماعية أو اقتصادية !

- الحب هو الحل الأكد لعديد من مشاكلنا . فحرمان الحدث أو الشاب من

الحب والحنان الطبيعى غالباً ما يدفعه إلى الجريمة ..

ثم تأتى فلسفة السلام الاجتماعى التى ينادى بها المصلحون الاجتماعيون والسياسيون ، والتى هى فى حقيقتها فلسفة قائمة على نبذ الحقد وسيادة الحب . هذه بعض الآراء ... وليست كل الآراء حول قيمة من أعظم وأرق القيم

الإنسانية (الحب) ، ولكن مازال هناك رأى الفنان التشكيلي ، ثم أستاذ فلسفة الأخلاق .. فكيف ينظر كل منها إلى الحب ؟

* * *

من منا يستطيع أن يقول إنه غير مستعد لأن يدفع حياته في سبيل الفوز بلحظة من تلك اللحظات الهاربة من أسر الزمان (لحظة الحب) . والفن - كل أشكال الفن - هي دائماً وسائلنا للاحتفاظ بهذه اللحظة واستعادتنا لها ، فمع النغم الحلو تصحو عواطفنا ، وأمام لوحة ناعمة الخطوط تستيقظ مشاعرنا . أما قصائد الشعر فهي دائماً رسائل خاصة بين كل محبين وكل صديقين ، كما أنها رسائل ود حميم بين كل أب وولده وكل ابن وأمه .

في حديث لي مع شاعر الشباب « أحمد رامى » سألته رأيه في الحب العصرى فقال لي :

- إنه حب سهل سريع يخلو دائماً من دماء الرومانسية التي عشناها .. وليس فيه هذا الحرمان العظيم الذى يشعل قلوب المحبين . فكيف يكون الحب والمدنية تقدم للأحباب كل وسائل الاتصال وفرص الالتقاء . أين الشوق وهو الزيت لتقديل الحب .

ثم سألت شاعر الهمسات السفير « أحمد عبد المجيد » عن تعريفه للحب فقال :

- الحب دفعات ربانية .. وهو علاقة قدسية والله هو الذى يدفع الإنسان إلى الحب هذا إذا كان حباً طاهراً .. وهناك قصة من الأدب اليونانى القديم تقول إن (زيوس) رب الأرباب خلق الناس أنصافاً وراح كل نصف يبحث عن نصفه الآخر إلى أن يلتقيا . وقد يكون هذا اللقاء زوجاً أو حباً أو عشقاً أو لقاءً فكرياً .

وكان لابد لكى تكتمل الصورة أن نستطلع رأى الفنان التشكيلي لنى هل يتغير تعبير الفنان عن مشاعره من جيل إلى جيل ومن موقف لآخر.. وهل تتأثر المدارس الفنية والتشكيلية بتغير المناخ الحضارى والفكرى للبيئة التى تنشأ فيه . سألت صفحة الفكر الفنان « صبرى راغب » رأيه فى هذا الموضوع فقال :

- لا شك أن مشاعر الفنان وأحاسيسه وأفكاره تتغير من جيل إلى جيل ، ومن موقف لآخر ، ذلك أن الفنان يستجيب بفنّه حسب عمره .. شاباً أو شيخاً ، كما يفعل بكل موقف جديد ، بل أكاد أقول إن الفنان أكثر من أى إنسان آخر يتأثر بهذه التغيرات الداخلية والخارجية كما يتأثر الفنان دائماً بالمدارس الفنية باعتبارها ظاهرة اجتماعية تتأثر بالمناخ الحضارى والفكرى للبيئة التى تنشأ فيها .

فالفنان يتأثر بالعملية الحضارية لعصره الذى يعيش فيه ، وكذلك بكل العصور الفنية التى سبقتة . لهذا تأتى تجربته الفنية وعمله الفنى فوق المستوى الفردى على الرغم من ذاتيتها .

والمشاهد المتذوق هو دائماً الناقد الحقيقى الذى يشارك فى التجربة الفنية . والحب فى تصور الفنان صبرى راغب هو هذا الحب الكبير الذى يربط الفنان بكل ما حوله ومن حوله من كائنات مثل الطيور والحيوانات وغيرها من مظاهر الطبيعة .

فالحب عند الفنان .. هو هذا الشعور الكونى الذى يبدأ فى قاعدة هذه الأرض وينتهى فى السماء حيث يقدم الخالق أروع صور هذا الحب . وهذا الحب لا يتغير . قد يقوى وقد يضعف متأثراً بأسلوب الحياة المعاصرة له ، وبالمناخ الحضارى الذى نعيش فيه : فالفنان هو وحده الذى يعيش دائماً فى تجربة حب لا تنتهى .

بعد هذه الجولة مع الشعراء ودارسى الأدب وعلماء الاجتماع والفن التشكيلي

بقى أن نسمع رأى أستاذ فلسفة القيم . يقول « د. توفيق الطويل » :
إن ما يثير الدهشة حقاً .. ما نردده دائماً من أننا نحن العرب نعيش فوق أرض
كانت مشرق الديانات ومهد الحضارة وننظر إلى الغرب على أنه مجتمع غارق في
ماديته إلى أقصى الحدود وتناسى ما نحن فيه من أحوال الضغائن والأحقاد التي
أصبحت مضرب الأمثال .

ويرى « د. توفيق الطويل » أن مسيرة التاريخ الإنساني حافلة بنماذج الكفاح
البطولي التي ما كان لها من سلاح حقيقي سوى الحب .

ثم يعطينا المثل على ذلك « بالمها غاندى » زعيم الهند الذى كان مبدؤه الأول
هو الكف عن الأذى ولم يكن يملك من وسيلة يجمع بها أفراد الشعب الهندى حوله
غير أن يملأ شعاب نفوسهم بالحب ولا يحارب فيهم إلا الحقد والظلم والكرهية .
وعليتنا أن نتصور عالمنا العربى إذا تعاونت دوله على البر والتقوى .

فحسب الحب قيمة عليا تضاف إلى قيم الحق والخير والجمال وتؤكد إنسانية
الإنسان وترفعه فوق مستوى البهائم والوحوش الضارية .

ويضيف « د. توفيق الطويل » : إن اندفاع الحياة الحديثة فى اتجاه الإسراف
فى الماديات ، خلق العديد من المشاكل الصعبة . منها هذه الأزمات الدولية التى
تقوم نتيجة لتزايد الطلب على الموارد المحدودة « بهدف سد حاجات الاستهلاك
المتزايد .

لكن الأشكال المختلفة من التعاون الدولى والعلاقات القائمة على الود ، تخفف
من هذه الأزمات ، وتمنع اعتداء القوى المختلفة على بعضها ، مما يدعم حرية
الفكر للفرد ويؤكد كرامته واستقلاله الشخصى .

وفى ظل نزعة الحب هذه ، يتجه التشريع الدولى والأممى إلى إشاعة المساواة فى
الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأفراد من ناحية وبين الأمم من ناحية أخرى ،

لهذا نحرص الأهم على أن تسود النزعة الإنسانية ، كما تتطلع إلى السلام وإلى احترام الحقوق والمواثيق الدولية ، وإلى أن يتحرر الإنسان من طغيان الظلم وشور الاستعباد .

وهذه هي الوظيفة الاجتماعية للحب التي جاءت في دعوة الفلاسفة المثاليين ، ورسالة الأديان المختلفة .

وللحب إلى جانب ذلك وظيفة نفسية تبدو في العلاقات المتبادلة بين الأفراد على المستوى الأسرى .. ففي ظل الحب تذوب الأحقاد والضغائن التي تنتهي دائماً بالجريمة .

وفي رأي « د . توفيق الطويل » أن الحب يعلو بنا فوق نزعاتنا البهيمية ، ويسمو على صفائر الكراهية والحقد ، ويجعلنا نحاول أن نحاكى الله في صفاته الحسنى ، على قدر ما تسمح طبيعتنا البشرية .

* * *

مع نفسى قبل لقاء الحكيم *

وحوار قصير معه حول الفن

المقياس فى الفن هو المنطق والأصالة

ربما ينتابك شىء من الرهبة إذا تخيلت نفسك تلقاه .. وربما تلعنمت حتى فى تفكيرك وأنت تفكر فى احتمال هذا اللقاء .. وكيف يكون الحديث مع هذا العملاق ؟ وهل تجرؤكلماتك أن تتخطى نطاق الشفاء وأنت فى مواجهته ؟ .. هذه الأسئلة وغيرها طرحت نفسها علىّ ، أو طرحتها أنا على نفسى ، وأنا أفكر فى لقاء (توفيق الحكيم) .

كانت الرغبة فى لقائه تملؤنى حساساً كلما زارتنى ، ولكن هذه الحساسية كانت تتحطم دائماً على صخور أن توفيق الحكيم عُرف بقلة لقاءاته للصحفيين ، وأنه يرفض فى السنوات الأخيرة لقاءاتهم كلية ، أضف إلى هذا أن ظروفه النفسية بعد وفاة زوجته وابنه لا تسمح لأى شخص مها كان جريئاً أن يقترب من أسوار مفكر مصر الأول ، وأن يطرق أبوابه .. واستجمعت شجاعتي وطرقت الباب ، وفى الحقيقة لم يكن الباب موصداً .. بل كان (موارباً) لا يسمح للمتطفلين بالدخول .. ، ولكنه يسمح للتلاميذ والمحبين والأصدقاء فحسب .

• يونيو ١٩٧٩

كان لقائى الأول به لقاء استكشاف ، بادرنى هو بالأسئلة عنى وعن أهلى
ودراسى وعملى .. ، سألته هل تنوى أن تجرى معى أت الحديث الصحفى ؟ !
قهقهة من أعماقه وهو يقول .. لا .. ولكننى أستكشف جيل الشباب . !
سألته : هل يستحق هذا الجيل أن تعطيه من وقتك ولو ساعة ، ليتعرف هو
على جيل العالقة ؟ .. وابتسم وقال .. لا عالقة ولا غيره .. إنما هو قدرنا .
الحق .. لقد استطاع بعد دقائق قليلة أن يحطم حاجز الرهبة بينى وبينه .. ولم
أتصور يوماً أن طفلاً رقيقاً بريئاً يرقد فى حنايا هذا الشيخ الرائد .. !
كانت تسعدنى كلما أتت إذا تضمنت ثناء .. وكان يبتسم وهو يطلب منى أن أعيد
كلما أتت التى ربما معنى خجل من أن أنطقها واضحة .
سألته أين (البيريه) فقال .. الدنيا حر ..
.. والعصا ؟

التفت ناحية المكتبة حيث وجدتها معلقة !
كانت عقارب الساعة وقتها تشير إلى قرب الثانية ، ففضلت أن أودعه قبل أن
يستأذن هومنى .. ولكنى اتفقت معه على زيارة أخرى .
- من فضلك مش عايز أحاديث ولا تسجيلات .. إذا كانت مجرد زيارة ..
أهلاً بك .

أمضيت الأيام فى ارتقاب موعد الرجل الذى سحرنى كما سحر كل أبناء جيلى
بما كتب لنا .. (عودة الروح) ، (يوميات نائب فى الأرياف) ، (عصفور من
الشرق) ، (حجار الحكيم) ، (محمد) ، (زهرة العمر) .. وغيرها وغيرها ..
حاولت أن أكون ذكية ، فأجمع فى ذهنى مجموعة من رموز الموضوعات
لتكون مفاتيح لحديثى مع توفيق الحكيم .. واستجمعت كل ما أمكك من شجاعة
وسألت الله أن (يحل عقدة لسانى) وأنا فى حضرة حكيم جيلنا (توفيق الحكيم) .

قابلى بيشر وترحاب أزالا كل ما ازدحم فى نفسى من رهبة .. صافحى فى حرارة ثم قدم لى ضيوفه كل باسمه ..

- د . حسين فوزى .

- د . يوسف عز الدين عيسى .

- د . يوسف إدريس .

وأجلسنى الحكيم فى مقعد قريب منه ، وسعدت لهذه الميزة التى ربما ساعدتنى لأستجمع نفسى وأنا أجلس بين هذه الصفوة من رجال الفكر فى بلادنا .

بدأ الحديث حول جيلنا .. جيل الشباب ، وسألنى توفيق الحكيم . هل يعرف جيلنا أصحاب هذه الأسماء ؟ قلت له : إن جيلنا من الشباب شب مفتوناً بجيلكم من الرواد .. لقد تفتحت عيوننا على ماكتب « العقاد » ، « وطه حسين » ، « توفيق الحكيم » ، « ونجيب محفوظ » .

لقد بُهرنا بجيلكم من الرواد .. ونتمنى أن يواصل جيلنا المسيرة .

قال لى « توفيق الحكيم » ..

- أتمنى أن يواصل جيلكم المسيرة ، لقد فتحنا لكم آفاقاً جديدة من الفكر والفن والأدب .. بدأ جيلنا المسرح المصرى ، والقصة المصرية ، والشعر المصرى ، فى أبواب متطورة برغم أن مصادر الثقافة عندنا كانت محدودة .. وهذه المصادر بالنسبة لكم أكثر سهولة وتنوعاً .. المهم .. أن تُهضم هذه الثقافات داخلكم وتُخرج إنتاجاً مصرياً خالصاً .. إن الحفاظ على مصريتكم مسئولية كبرى إزاء التيارات التى تحيط بكم .

سألت توفيق الحكيم .. هل تتغير أفكار الإنسان وآراؤه بمرور السنين ، خاصة فيما يتعلق بالاتجاهات الفنية ، فابتسم الحكيم وهو يقول لى ..
- اسألى بصراحة أكثر .. وأعذك بإجابة صريحة .

واجهته بعد أن أمتنى :

- قلت في زهرة العمر منذ أكثر من نصف قرن (إن الفن عندى خلق إنسانى جميل لا أكثر ولا أقل) فهل هذا يعنى أن الفن عندك للفن فقط بدون التزام هدف أو فكرة؟

قال توفيق الحكيم : كانت هذه أمتنى .. كنت أتمنى أن يكون فى الفن فقط ، أى يكون فناً مطلقاً ، ولكنى لم أستطع ، فقد غلبنى الواقع وقهرتنى الظروف المحيطة ببيتى .. مثلاً . فى (عودة الروح) رأيتنى أنفعل بأحداث بلد يتحول ، ووجدت أن كل فرد من أبطال قصتى يمثل اتجاهًا أو فكرة فى المجتمع .

- ومن هو «توفيق الحكيم» بين شخصيات (عودة الروح) ؟

- كنت (محسن) . بشبابه ومثاليته ورومانسيته .

- (وسنية) .

- كانت مصر بآمالها وطموحها وأفكارها الجديدة وتطلعها إلى المستقبل .

معقولة اللامعقول :

وتوفيق الحكيم هو رائد فن اللامعقول فى الكتابة العربية ، وقد أثارت (يا طالع الشجرة) عند صدورها فى عام ١٩٦٢ جدلاً طويلاً بين مؤيدى (العيب) ومعارضيه وكان عيب «توفيق الحكيم» نعتاً جديداً على الإنتاج اللامعقول نفسه ، فقد أطلق عليه النقاد الإنجليز (معقولة اللامعقول) ، ذلك لأن طبيعة «توفيق الحكيم» المنطقية والمعتولة ، أعطت لفنه اللامعقول مسحة منطقية . ونجونا الحديث عن اللامعقول فى فن «توفيق الحكيم» إلى سؤال .
- هل يتذوق شيخ كتاب مصر الفنون الحديثة (المودرن) وهو الذى عرفها فى كتابه (زهرة العمر) بأنها عدم التقيد بالمنطق العام والتزوع إلى المنطق الخاص .

قال « توفيق الحكيم » ..

— أنا من محبى الفنون التقليدية ، ولكنى لأرفض الاتجاهات الحديثة مالم تكن نشازاً ، فقد بهرتنى سيمفونيات « بيتهوفن » وأنا أسمعها فى باريس ، وأطربتنى « أم كلثوم » وأنا أسمعها فى القاهرة ، أما الموسيقى الحديثة بنغماتها السريعة الرشيقة ، فهى تعجبنى ، لكنها لا تطربنى .

وفى الفن التشكيلى بهرتنى أعمال « رفايل » ، وأنا أقف أمامها فى اللوفر ، وتعجبنى أعمال صديقى الفنان التجريدى « صلاح طاهر » — والمقياس عندى أن يكون الفن مفهوماً وله موضوع ، وإلا فكيف أعجب بشئ ؟ ليس له موضوع ! . ويضيف « توفيق الحكيم » . إن ما يتعمده المجددون من إيهار فى العلاقات اللونية والضوئية فى اللوحة الواحدة ، أو العلاقات الصوتية فى المقطوعات الموسيقية ، ربما يعطى إحساساً بالراحة والمتعة ، ولكنه لا يستحوذ على إعجاب الملتقى لهذا الفن الجديد ولا يبهره .

ويتطلع « توفيق الحكيم » إلى لوحة تنصدر مكتبه بجريدة الأهرام بريشة الفنان « صلاح طاهر » . فأسأله :

— لماذا اخترت هذه اللوحة بالذات ؟

— لأن الفنان استخدم اللون الأخضر بحىوية تعطينى إحساساً مريحاً ، وأحس أن ريشته تنبض بالحياة .

ويضيف « توفيق الحكيم » : إن العمل الفنى الحقيقى يحمل ولا شك فكراً أو منطقاً ، ومادام يحمل منطقاً فن السهل أن يقنع الآخرين به . ويصمت شيخ كتاب مصر ، وبعد لحظات تأمل يقول : المقياس فى الفن هو المنطق والأصالة .

حوار متشعب مع الشيخ الباقرى *

أنا أحب .. إذن أنا إنسان .
الملابس العصرية .. مؤامرة ضد أنوثة المرأة .
هدف الدين هو سعادة الإنسان .. فلماذا نشدد القيود ؟

أعترف أنها كانت حيرة شديدة تلك التى سيطرت علىّ وأنا أفكر فى الموضوع الذى أبدأ به الحديث معه ... فالمداخل إلى شخصيته عديدة ، وبجالات اتهاماته كثيرة .

وتتابعت الاقتراحات داخل ذهنى .. هل أبدأ بالفتوى أم بالحلب .. وهل أتحدث عن تفسيره الجديد لأحكام القرآن الكريم أم أتحدث عن عالم الحيوان وتجارب الصيد ، وهو آخر ما ألفت فيه . وهل نبدأ مع أيام الطفولة فى قرية « الباقر » ، أم نسجل ذكريات الشباب فى أسبوط ثم القاهرة . وهل نتحدث عن عالم السياسة ، أم نطرق عوالم الثقافة والعلم والفكر ..
وجاءتني الفكرة من خلال عبارته الأولى عندما طلب أن تفتح له النافذة وقال : افتحها يا أخى ليدخل هوا .. ما أجمل هوا .
وسارعت بالتقاط الحنيط .

• يونيو ١٩٧٧

- هل تقصد الحوا .. (بالألف) أو الهوى (بالياء) .
- وابتسم الشيخ « أحمد حسن الباقورى » وزير الأوقاف المصرى السابق ومدير معهد الدراسات الإسلامية ورئيس جمعية الشبان المسلمين وقال :
- أنا أقصد كليهما معاً . فما أجمل الحوا .. وما أجمل الهوى .
- وماذا عن الهوى ؟
- مادام الإنسان يعيش مع الآخرين ، فلا بد أن يأخذ ويعطى .. والميل العاطفى شىء طبيعى وغريزى فى الإنسان .. والذى لا يميل كدأب .
- وأنا ملت .. لأنى إنسان ..
- والله قال فى كتابه (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها) والسكينة تأتى مع الميل ، والذى لم يَـمِـلْ فى الهوى مع امرأة . وحشٌ مدمر .. ليس إنساناً .. وأنا إنسان .. وأنا بشر .
- وماذا عن ذكريات الحب فى القرية ؟
- طبيعة الحياة فى القرية المصرية تفرض لوناً معيناً من الحب .. نخطأ معيناً من العلاقة ، فهى تعتبر الحب شهوة .. وفاحشة ..
- ودخل مع هذه الظروف عاملان :
- الضيق الاقتصادى ، والضمير الدينى الذى زرع أهلى داخلى .. والخوف من الخطيئة الذى جعلنى أعيش بعيداً عن العواطف وخواطر الحب ، حتى سن العشرين عندما تركت أسبوط إلى القاهرة .
- وماذا صنع مجتمع القاهرة المفتوح مع فتى الصعيد المتدين ؟
- مع الدراسة فى الأزهر ، بدأ اهتمامى بالسياسة ، وانضمت للإخوان المسلمين ، ثم كنت عضواً فى اللجنة التنفيذية العليا للطلبة ، التى شكلت للمطالبة بعودة دستور ١٩٢٣ .

- تغير خط حديثنا عن الوجدانيات إلى السياسة !
 - فلنعد إلى ما تطالبين .. تصورى أن ملكة الشعر عندي بدأت تظهر لأول مرة
 فيما يتعلق بالوجدانيات . عندما عشت تجربة حب غير متكافئة بين (مجاور الأزهر
 الفقير . وبنت الباشا ..) وقلت وقتها قصيدة أذكر منها :

وداعا فتاتي لا ملأاً ولا غدرا
 وعدراً وإن لم أدر في جفوتي غدراً
 سقى الله عهداً لم يكن غير غفوة
 غففتها عيونُ الدهر عن حبنا دهرًا
 ليلالي كان الحب يجمع بيننا
 نرسله نثرًا ونشدو به شعرًا
 تُراقبنا عينُ العفاف فلا ترى
 علينا لغير الطهر نهيًا ولا أمرًا
 كأننا وما كنا لنصغى لريبة
 نُعلمُ هذا الكون من طهرنا الطهرا

ولكني لم أستمر في كتابة الشعر الوجداني ، وانصرفت إلى الشعر السياسي ، ثم
 الديني ، وتركتهما كذلك فيما بعد ، هذا عن الشعر .
 -- حديثنا عن العواطف .. هل هذه محاولة للتخلص من موضوعنا الأساسي ..
 الحب :

- لا ... فأنا أرى الحب أسمى العواطف الإنسانية كافة ... ولا أجد عليه قيداً
 مالم يقترن بالمفاحشة .. ، وهذا يتطلب من الحب معاناة .. ، لهذا اقترن الحب دائماً
 بالشقاء .

وجدن الخلاص في الحجاب :

هل تلتزم الطالبات الدارسات في معهد الدراسات الإسلامية بالزى الإسلامى الشرعى؟

• ويرد الشيخ الباقورى لا يوجد ضمن تعليمات المعهد ما يلزم الدارسات بذلك وإن كان بعضهن يرتدينه باختيار شخصى بحت .
وما رأيكم في انتشار ظاهرة الزى الإسلامى في شوارع القاهرة ؟
« هذا اتجاه من فتياتنا يستحق كل تقدير وتشجيع .

والحجاب بصفة عامة ظاهرة من مظاهر اللجوء إلى الدين يعبر عن الضيق بالحياة بما فيها من مظاهر غير مسعدة ، فيفر الإنسان من حياته البائسة إلى الحياة الأخرى ، التى يؤمل فيها .

وأيسر هذه الطرق هى الإقبال على شعائر الدين وأحكامه وأنا لا أحبذ المغالاة في ارتداء هذه الملابس عملاً بدعوة رسول الله إلى الاعتدال وعدم التشدد .
وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام (لا تشددوا فيشدوا عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فهذه بقاياهم في الأديار .. رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) صدق رسول الله ، وأنا أقصد هنا هؤلاء اللواتي يخفين وجوههن وأيديهن تماماً .

وجهها .. كالقمر :

والمرأة العصرية ؟

ويرد فضيلة الشيخ « أحمد حسن الباقورى » :
- تؤدى المرأة العصرية دوراً هاماً في الحياة العامة .. ، وخروج السيدات

للعمل ضرورة اقتصادية واجتماعية ، فرضتها ظروف متعددة ومتشابكة .. ، ولكنى
أعتب على المرأة المسلمة عدم التزامها بالزى الإسلامى .

وهذا الزى الشرعى فى صالح المرأة وجعلها على طول الخط .. فهو يُظهر أجمل
ما فيها .. ، وجهها وكفيها ، وكم يبدو وجه المرأة مثل القمر عندما يحيطه الخمار ،
ويختفى ما عدا ذلك من معالم غير جميلة بالمرءة .

وفى رأى أن الملابس الحديثة للمرأة ، ماهى إلا مؤامرة ضد أنوثتها .
وكم أتمنى أن يكون للمصريات زى محتشم جميل رخيص ، يناسب الشروط
الشرعية للملابس المرأة ، ويساعد على تحقيق السلام الاجتماعى ، عندما يقضى على
المنافسات والمهرجانات اليومية للمرأة العاملة .

تتريين وتتعطر :

وزينة المرأة المسلمة ؟

- للمسلمة أن تتريين وتتعطر ، ولكن فى حدود المعقول ، فلا تغير من خلق
الله ، ولا تقصد بزيتها وعطرها الفتنة ، والبهل عليه السلام أمر المرأة بالتزين ،
ففى حديث رواه صاحب (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) من أحاديث
الرسول عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : مدت امرأة من وراء ستريها
بكتاب إلى رسول الله ، وتساءل الرسول ﷺ : أيد رجل أم يد امرأة ، فقالت بل
امرأة ، فقال لو كنت امرأة لغيرت أظفارك (بالحناء) والكلمة الأخيرة هذه لناقل
الحديث .

إذاً فالدعوة صريحة لكل أنثى أن تعتنى بجمال يديها ، وأن تصبغ أظفارها بغرض
التجميل .

وضوء .. بالمائيكير .. والباروكة :

- مع استحداث طرق جديدة لتلوين الأظفار تمنع وصول ماء الوضوء والغسل إلى الظفر هل نستمر مع الأخذ بهذا ؟
- في السنة المؤكدة مالا يمنع الوضوء مع لبس خاتم أو سوار ضيق يمنع وصول الماء إلى ما تحته من جلد ، ولا يشترط تحريك الخاتم لصحة الغسل أو الوضوء .
والخاتم أو السوار هنا للتجميل وليس للضرورة .. ، بالقياس يكون الوضوء صحيحاً إذا لم يصل الماء إلى الظفر ، خاصة وأن الظفر جزء لا تدب فيه الحياة مثل الجلد .

وقد أخذ بهذا الرأي مالك وابن حنبل .

- والمسح على الباروكة في الوضوء ؟

- يصح الوضوء هنا كذلك ، لأن الرسول أجاز المسح على العمامة للتيسير .
إن الدين يسر لا عسر ، وعلينا أن نلتزم جانب التيسير حتى لا ينفر الناس من الدين .

الدين .. حرية لا قيود :

لقد ابتعد المسلمون عن تعاليم الإسلام عندما تشدد بعض رجال الدين ، وأصبحت الفتاوى تقال للناس فتصور لهم هذا الدين أنه مجموعة من القيود ، فاستصعب الناس الإسلام ، وبدأ العمل بشرائعه يقل يوماً بعد يوم .

الباروكة .. حلال !! :

- فيما يتعلق بالباروكة .. ألم ينه رسول الله عنها عندما لعن الواصلة والمستوصلة ؟ .

- معذرة .. فهذا فهم خاطئ للحديث .. والسيدة عائشة فسرت هذا الحديث على أن الرسول كان يقصد به من تصل رجلاً أجنبيًّا وهي الواصلة .. والمستوصلة هي التي تتوسط بين رجل وامرأة فتصل بينهما في الحرام .. وهذا في رأيي هو المعنى الصحيح للحديث ، خاصة وأنه فيما رُوي عن الصحابة والتابعين ، أن بعض النساء كنَّ يتبرعن بشعرهن للمساهمة في نفقات الجهاد ، كيف يسير المعنى الذي ذكرته مع هذا وطبعاً كان هذا الشعر يباع بغية استعماله ؟

- ابن صعيد مصر ينادى بأفكار تحررية ويدعو إلى العصرية في فهم أحكام الدين ..

أليس هذا غريباً ؟

- ليس غريباً بالمرة .. لقد عانيت في صغري من جهل بعض من يدعون العلم والمعرفة بأصول الدين .. وحرمني جهلهم هذا كثيراً من مباحج حياتي .. كطفل وصبي .

ولما درست القرآن والشريعة الإسلامية اكتشفت كم ضللتني هؤلاء ، ووجدت أن رسالتي يجب أن تكون تبسيط أصول الشريعة الإسلامية ومحاربة البدع بها ، وقد وجدت أن الدين في جوهره سعادة الإنسان وراحته ومصالحته ، وليس قيوداً وتشدداً وتعصباً !

- هل يمكننا الآن أن نلخص منهج فضيلتك في الدعوة للإصلاح ؟

منهج الإصلاح :

هذا المنهج يتضمنه مشروع تحت الإعداد ويتخلص في خمس نقاط هي

- الدين في فطرة الإنسان نعمة .

- تيسير التدين استيفاءً لنعمة الدين .

- الدين على لسان الأنبياء واحد .
 - العصبية الدينية آفة المجتمع الإنساني .
 - العصبية المذهبية آفة المجتمع الإسلامي .
- وتعز المكنبة العربية بوجود ستة مؤلفات لفضيلة الشيخ « أحمد حسن

الباقوري » وهى :

- ١- مع القرآن بين الرواية والدراية .
 - ٢- خواطر وأحاديث .
 - ٣- معالم الشريعة فى أصول الفقه .
 - ٤- أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية .
 - ٥- من دلائل النبوة .
- وأخيراً صدر فى عام ١٩٧٣ أحدث كتبه باسم (عالم الصيد) .
- ألا ترى فى موضوع الصيد طرافة عندما يكتبه واحد من أعلام الفكر الإسلامى فى جيلنا ؟

نافذة على عالم الصيد :

- يقول البعض هذه الملاحظة ، ولكنى لا أرى أن هناك خرجاً عن خط الدراسات الإسلامية ، ولا العربية ، ولا أرى فيه دراسة بعيدة عن تخصصى . ذلك أنى تناولت عالم الصيد من جوانبه التاريخية عامة ، والإسلامية خاصة . لقد حث رسول الله عليه السلام أصحابه على ممارسة الصيد ، والركوب للرياضة والترفيه .

كما أن هناك العديد من المواضع فى التراث العربى تحفل بفصول كاملة عن مغامرات الصيد ، وعن طبائع الحيوانات والطيور وعن آلات الصيد .

وأنا مارست هواية الصيد منذ صغرى عندما كنت أصطاد السمك مع رفاقي الصغار من نهر النيل ، ثم مارسته بعد ذلك بسنوات في أدغال الهند .
ولن أنسى أنى مكثت سبع ساعات كاملة أعلى إحدى الاشجار أرقب نمرأ فى أدغال الهند .. كان علىّ فى هذه الساعات أن أكمّ أنفاسى وألا أحدث أى صوت .
ولن أخفى عليك .. فقد فشلت رغم هذا فى اصطيداد ذلك النمر .

الدعوة والداعية :

- هل يدخل هدف إعداد الدعاة ضمن أهداف معهد الدراسات الإسلامية ،
ويدق الشيخ الباقورى بأصابع يده على مكتبه المتواضع ويقول بعد تفكير .
- تمر حركة الدعوة الإسلامية فى الوقت الحاضر بفترة ركود بالمقارنة بعصور سابقة .. كان الدعاة فيها أكثر إخلاصا كما كانت الظروف وقتها أكثر ملاءمة .
فالتيارات السياسية فى العالم من جانب الشرق والغرب تعرقل عمل الداعية وتشل حركته فى مناطق الدعسوة التى كان يتحرك فيها بحرية أكثر فيما مضى .
ولا تنسى كذلك شخصية الداعية وهدفه من عمله .. فالظروف الاقتصادية فى العالم كله تفرض على مثل هؤلاء الذين يغتربون فى مجاهل أفريقيا وآسيا التزامات تقلل من جهدهم الموجه للدعوة .
هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يجب أن تتضافر الإمكانيات المادية للدول الإسلامية لتدعيم حركة الدعوة .

اللغة والتاريخ :

- وماذا عن ثقافة الإنسان المسلم البعيد عن الدراسة والتعليم المتخصص ؟
- القرآن ثم الحديث هما منبعا الثقافة الإسلامية الأساسية ويأتى التطبيق فى

السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى منذ الهجرة وحتى الفتح الإسلامى ، ولما جاء الفتح العربى للأندلس بدأ الشرق يطعم ثقافته بإنتاج الفكر الغربى ثم بدأ يعطى هو الآخر للغرب تجربته وفكره .

وبعدها جاءت الحملة الصليبية فكانت لقاء ثانيا بين الحضارتين تبادلنا فيه الخبرة والتجربة والالتحام فأفادتنا واستفدنا ويقول أحد المستشرقين الأعلام علمنا المسلمون الحب عندما دخلوا الأندلس .

أما الثقافة الإسلامية المعاصرة فهى ثقافة شوهاء مختلة بلا شخصية ويعود هذا إلى قصور مصادر هذه الثقافة والإحساس بالضعف الذى يسيطر على الإنسان المسلم تجاه كل ما هو غربى . نضيف الى هذه العوامل التدهور الاقتصادى والسياسى الذى تعرض له العالم الإسلامى فى القرنين الماضيين والذى صنع هوة ثقافية قطعت سلسلة الثقافة بين المسلم القديم والمسلم المعاصر .

قابل هذا فى نفس الوقت غزو ثقافى مركز من حـا - الغرب فرض بعده فكره وثقافته على الإنسان المسلم ، ويضيف الشيخ الباقورى وقد أطلق عبر النافذة التى تطل على عدد من المباني الجديدة ويردد كلمات كأنها خلاصة الحديث .
يجب أن نلوذ باللغة العربية والتراث العربى لنحفظ للإنسان المسلم العربى شخصيته المتميزة .

كنت أحس العطش إلى المعرفة ، ساعة بدأت حديثى ، ومازلت أحس هذا العطش يزداد ولكنى اضطررت إلى إنهاء الحوار . فالنهل سخى العطاء .. أصيل الفكر . لا نحس مع حديثه مللا ولا تريد لحواره نهاية .

كان على أن أجمع وريقاى وأترك فضيلة الشيخ « أحمد حسن الباقورى » يستعد لمراجعة (بروفات) كتابه القادم بعنوان (الصفوة المحمدية) .

لقاء مع رائدة مصرية : د. سهير القلماوى *

لبست برنيطة .. لأرضي المحافظين في الجامعة ..

دائرة اهتمام المرأة أكبر من الفستان والبودينج ..

كانت كلمة (أول) هي أكثر الكلمات تردداً في أثناء لقاءى بها ، وقد طال حديثنا وتشعبت موضوعاته ، ذلك أنى كنت أتحدث مع أول فتاة مصرية لحقت بالجامعة وأول أستاذة جامعية مصرية ، وأول رئيسة لقسم اللغة العربية في كلية الآداب ، وأول رئيسة مجلس إدارة في مصر.

كنت في حديث مع بطلة لسلسلة طويلة من التحديات والمعارك خرجت من كل معاركها منتصرة ، وهي الآن تحمل على رأسها تاج انتصارها .. هالة من الشعر الأبيض تحكى قصة من أعظم قصص الكفاح التى خاضتها المرأة المصرية في هذا القرن .

تقول « د. سهير القلماوى » :

كانت أولى معارك التحدى التى خضتها ، هي معركتى مع أسرقى ، فقد صممت على مواصلة تعليمى العالى .. إما أن أسافر للخارج ، أو أن ألتحق

• يونية ١٩٧٦

بالجامعة المصرية . وكان من الصعب إقناع أسرتي المحافظة بهذا .. وحاولت الانتحار .. وأخيراً وافق والدي على إلحاق الجامعة المصرية ، لأنه من غير (اللاق) أن تسافر ابنة السبعة عشر ربيعاً إلى الخارج وحدها .
 وكان التحدي الحقيقي ، هو حرصى على دراسة اللغة العربية ، كيف ؟؟ وقد تلقيت كل علمى بالإنجليزية فى الكلية الأمريكية ، وأنا لا أعرف من العربية إلا اليسير جداً ، وشعرت بالغربة وسط زملاى فى أول الأمر .

الرجل .. وراء العظيـات :

لن أنسى فضل أساتذتى ، امتدت لى أيديهم بكل المساعدة والتوجيه ، ولن أنسى أثر الدكتور « طه حسين » على استمرارى فى هذا الطريق الذى قطعت فيه شوطاً كبيراً ، وهو دراسة اللغة العربية .
 ثم أعددت أول رسالة للدكتوراه عن الأدب الشعبى ، بعدها بدأ هذا العلم يدرس لطلبة قسم اللغة العربية .
 - هذا عن رحلة التعليم .. وماذا عن رحلة الوظائف ؟

وترد الدكتوراة « سهير » :

- لقد تحملت عبء أكثر من مسئولية أثبت فيه كفاءة المرأة المصرية . أهمها أنى كنت رئيسة لقسم اللغة العربية فى كلية الآداب لمدة عشر سنوات ، أحسست بعدها أنى أثرت فى جيل من الشباب العربى إنسانياً إلى بجانب التأثير العلمى ، وأنا لا أذكر أحداً تولى مثل هذا المنصب مدة طويلة كهذه ، وعديد من تلاميذى يحتلون الآن مراكز مرموقة فى البلاد العربية والإسلامية .

الكتاب .. خدمة لا سلعة :

نجد آخر واجهته ، عند ما فرضتُ على الحكومة أن الكتاب يجب أن يكون خدمة لا سلعة ، عندما توليت رئاسة مؤسسة الكتاب . وحاربت وقتها من أجل أن أثبت أن هدف المؤسسة هو نشر الوعي الثقافى وليس الكسب المادى . وبدأتُ فعلاً بكتاب الطفل ، وفرضت شكلاً وسعراً جديداً على القطاع الخاص ، كما وضعت مفهوماً محدداً لمضمون هذا الكتاب . وأصدرت المؤسسة فى هذا الوقت أول موسوعة شاملة للطفل العربى ، طبعاً لم تحقق ربحاً مادياً .. لكننى حققت أملاً كبيراً فى أن أجعل الثقافة فى متناول يد كل طفل مصرى .

- وبعد هذه المعارك وغيرها .. هل أضافت المرأة جديداً إلى الحياة الاجتماعية المصرية بمزجها إلى ميادين التعليم والعمل ؟
- فى رأي أن المرأة المصرية استطاعت أن تخرج من دائرة الفستان والبودينج ، وأن تقتحم كثيراً من الميادين وأن تتفوق فيها .

الحضانة ضرورية :

- ولكن ألا يؤثر خروج المرأة للعمل على أجيال النشء ؟
- خروج المرأة للعمل ضرورة اقتصادية وحضارية ، كما أن الأم لم تعد قادرة وحدها على تربية ابنها ، ذلك أن تعقد الحياة المعاصرة يستلزم إشرافاً جديداً مع ما يحتاجه الطفل من حنان الأم وحبا .
إن إنشاء دور حضانة قريبة من أماكن عمل المرأة تشرف عليه طبيبات ومتخصصات ، اجتماعيات ونفسيات ، ومخالطة الصغير لأقرانه من نفس السن

أنسب بكثير من وجوده مع أمه وحده بين جدران البيت الضيق . إن دائرة معارف الطفل الحديث يجب أن تتسع لتشمل نواحي كثيرة لم تكن محل اهتمام الأجيال الحالية والسابقة .

- طوال هذه المرحلة الشاقة . ألم تتخل عن أنوثتك أبداً ؟
- أنا سعيدة بأنوثتي ومؤمنة بأن دور الأنثى لا يقل عن دور الرجل ، بل ربما كان دورها أعظم ، فهي تحمل في داخلها سر الحياة .. أما هؤلاء اللواقى يتشبهن بالرجال عندما يخضن الحياة العامة ، فهؤلاء لا يختلفن عن الرجال حتى لو لم يقتضمن الحياة العامة .. فهذه هي إمكاناتهن .

الجمال والتجمل :

- وما هو الجمال في رأيك ؟
- الجمال هو الإحساس بالغير .. عكس الأنانية ، والجميلة هي التي لا تتحدى الجميع وتظهر بمظهر شاذ مجرد أن ذلك يرضيها ، عندما طلبوا مني أن أعطى رأسي في الجامعة لم أتخذ رغباتهم ولبست (برنيطة ..) وكانت أيامها آخر موضحة .
- والزينة ؟

- الزينة ضرورة للرجل والمرأة معاً ، فالرجل يتزين كل صباح قبل خروجه من منزله . والمرأة كذلك يجب أن يبدو شكلها مريحاً .. أما أن تكون الزينة هدفاً في حد ذاته فهذا شيء مزعج . قليل من التجمل مقبول ، أما أن تبدو المرأة وكأنها تمثال نفرتيتي ، فهذا في غير صالحها ..

- وعن العمل السياسي ؟

وتقول د . سهير القاوي في انفعال وحاس شديدتين ..
- لاخير في العمل السياسي المأجور .. فالعمل السياسي إذا لم يكن عملاً

تطوعياً أصبح وظيفة لها عيوب كل الوظائف .

- وسن المعاش ؟

- نحن لا نبليغ الستين فجأة .. لابد أن نخطط للنشاطات التي سنشغلنا في هذه

السن .

إن فرحتنا بما أنجزنا من أعمال خلال سنوات عديدة وفرحتنا بأولادنا الذين
كبروا معنا ستجعلنا نسعد بهذه السنوات .

وما زالت شعلة النشاط تضيء الحياة من حولها وتملؤها حركة وعملا .. استمرارا
في رسالتها نحو الأجيال الجديدة . وما زالت الدكتوراة سهير القلماوى تشغل أكثر من
منصب ، فهي أستاذ غير متفرغ للأدب الحديث في كلية آداب القاهرة ، وأستاذ
زائر في معهد البحوث والدراسات العربية ، وأمينة عامة للاتحاد النسائي العربي ،
وعضو المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ومقررة لجنة ثقافة الطفل ولجنة الفنون
الشعبية به . ونائبة لرئيس جمعية الأدباء المصرية ، وعضو مجلس إدارة اتحاد
الكتاب المصري ، ورئيسة جمعية خريجات الجامعة .

مع الشاعر الذى كتب «أم كلثوم» ٢٥٠ أغنية*

- الشوق . . . هو الزيت للقنديل الحب .
- الذين نسمعهم الآن مؤدون وليسوا مغنين !
- بقيت فى الظل بعد أن فقدت إشامى الوحيد . . «أم كلثوم»

لم تستطع آثار الأيام أن تطفى بريق نظراته المعبرة ، ولم تستطع تجاعيد السنين أن تضعف ابتسامته الدافئة ، كذلك لم تستطع بحة صوته أن تضعف النبض فى كلماته التى طالما حركت قلوب الملايين خلال نصف قرن مضى .
أطلقوا عليه اسم (شاعر الشباب) ، ربما لأنه عاش يحمل فى صدره قلباً شاباً ظل يأخذ من الحياة التجربة ويعطيها الحب والأمل . .
ربما لأنه عاش يحمل فى يده قلماً ساحراً يعطى لنا أحلى كلمات تغنى بها اللسان العربى فى عصرنا هذا .

وكانت «أم كلثوم» أعظم قبارة أخرجت هذه الكلمات على أوتار صوتها الذهبية . . فأعطتها خلوداً وبقاءً ، سيعيش مادام هناك قلب ينفق بالحب ، ولسان ينطق بالغناء .

كنت مشوقة لأعرف ماذا صنعت السنون بشاعر الشباب ، لكن كلماته الأولى

• يناير ١٩٧٥

صدمتني عندما جاءني صوته عبر أسلاك التليفون . . لقد رفض فكرة اللقاء وقال لي :

- « ماذا سأقول لك . . أنا فرضت على نفسي البقاء في الظل بعد وفاة « ثومة » فقد كانت إلهامي الوحيد . . وبعدها لم يعد عندي ما أقوله لك وللناس .
- وهل تحرمني من لقاء الرجل الذي أسعد وأثرى قوادنا في كل الأقطار الناطقة بالعربية ؟

وأحسست ساعتها « بأحمد رامى » يتسم فقد صمت قليلاً وقال بصوت هادئ :

- أهلاً وسهلاً . .

في البيت الذى عاش فيه منذ أكثر من ثلاثين عاماً بجداثق القبة . . وفي نفس الصالون الذى شهد مولد العديد من أغنياته ، استقبلني بود شديد . . وطال حديثه معي . . وكان نصف كلامه شعراً ونصفه نثراً . . وأحسست أني أجالس عملاقاً برغم عوده النحيل الدقيق . . قال لي « رامى » :

على أنغام هذا (البيانو) رددت « أم كلثوم » كلمات عشرات من أغنياتي . . كانت أذكى سيدة عرفتني في حياتي . . لم أعرف أحداً يعطى الكلمة حقها وهو ينطقها مثل « أم كلثوم » . . حتى حديثها العادى كان أغنية رقيقة تضع هي كلماتها ولحنها .

« أم كلثوم » ظاهرة لن تتكرر . . فهي لم تكن بمجرد صوت جميل مثقف حساس ، وإنما كانت قلباً اتسع للعالم كله حبا وحناناً . . وإنساناً ملأ المجالس مرحاً وظرفاً .

ليالى الأنس :

- معروف أنك كنت فارساً في فرسان ندوات الأدب والفن التي كانت تزخر بها القاهرة في النصف الأول من هذا القرن فإفسرك لاختفاء ظاهرة الندوات الأدبية من حياتنا الثقافية ؟

- لقد كنا نعيش شبابنا في عصر هادئ . . لم يكن للحياة هذا الايقاع السريع المضطرب المقلق . . كنا نحس باليوم طويلاً تمتد ساعاته مسترخية تدعونا للحياة العريضة . . لم تكن في الحياة كل هذه المشاكل . إن اليوم يبدأ مع الإنسان المعاصر بالمشاكل . ويمضى هكذا حتى يعود إلى بيته محتاجاً للراحة التي قد لا يجدها . . فأين ومتى يلتقي بالرفاق ؟ ! وكيف تنطلق الضحكات من القلب المثقل ؟ . . وكيف ترسم الابتسامة على الشفاة المتعبة ؟ . من أين تأتي ، (ليالى الأنس) ؟ .

حتى الفن المعاصر . . لا أحس فيه أومعه بالهدوء . . فهو فن قلق . . متوتر . . يعكس صورة هذا الجيل الشقي . . وأنا أقول إنه جيل شقي لأنه ضل طريقه إلى السعادة . . وهي الراحة الجسدية والنفسية والاستمتاع الهادئ بالحياة . لقد كانت في القاهرة عشرات الندوات التي يجتمع فيها أهل الفن والأدب والفكر والسياسة وتدور بينهم المناقشات الجادة والطريفة . وكانت هذه الندوات تعقد في صالونا الأدباء وفي المتبديات العامة ، بل وفي المقاهي . . وكان يؤمها مشاهير هذا العصر من الفنانين والأدباء والمفكرين . . أين هذه الليالى الجميلة في حياتنا العصرية ؟

الحب العصري :

- والحب العصري ؟

- حب سهل . . سريع . . يخلو من دماء الرومانسية التي عشناها . . ليس

فيه هذا الحرمان العظيم الذى يشعل قلوب المحبين . . والمثل الشعبي يقول . . « الى فى الإيد ترهده العين » فكيف يكون الحب ؟ والمدنية تقدم للمحبين كل وسائل الاتصال وفرص الالتقاء . .

أين الشوق ؟ وهو الزيت فى قنديل الحب ؟

— وما رأيك فى مستوى الأغنية المصرية الحديثة ؟

وسألنى « أحمد رامى » بدهشة شديدة . . الأغنية ؟ . . أين هى الأغنية ؟ هل تسمين ما ينطلق من محطات الإذاعة وما يُسجَّل على الأشرطة والاسطوانات أغاني ؟ . . إنها مأساة أن نعتبر هذا الكلام الردىء . . الضعيف . . الهش غناء . . إن الغناء هو كلمة حلوة . . كلمة عذبة . . حتى لو كان موضوعها حزيناً . . قليل من الشعراء يكتب الآن بعض الكلمات الصالحة للغناء لكن . . تأتى بعد هذا مشكلة الأصوات فأغلب الأصوات التى نسمعها الآن هى المؤدين وليسوا مغنين .

القمر هو القمر :

— وماذا قلت عند ما وضع الإنسان قدميه على سطح القمر . . ؟

— القمر ليس فى معدنه . . وإنما فى نوره الفضى واستدارته ، وفى ظهوره وسط ظلمة الليل وسكونه ، الذى يبعث على التفكير والذكرى . . وأنا ما زلت أحتفظ حتى يومنا هذا بعادتى القديمة فى السهر طول الليل مع القمر . . فهو ما زال القمر ، إنه يعيد إلى ذكريات يوم كان ثالثاً فى جلسة هنا أو هناك . . ويعطينى نوره الرقيق فى سكون الليل إحساساً متجدداً بأنى كنت صادقاً عندما قلت يوماً . . غمرتنى سكونية الكون حتى كدت أصغى إلى حديث السكون

الشعر . . . موسيقى :

— بعد آلاف الأبيات من الشعر التي كتبها . . وبعد عشرات الدواوين التي تفخر بها المكتبة العربية . . ما هو الشعر عندك وما هو مصدر وحيك ؟

— الشعر موسيقى قبل أن يكون أدباً . . لذلك وضعت له تفاعيل وقوافي تجعل لائحتهما معاً . . رنيناً يُشجى السامع . ومصادر وحي الشعر عندى اثنان . .

الأول : يأتي من داخل . . من التجاوب بين روى ومن أحب سواء كان شخصاً أم وطناً أم أى شيء آخر . . وهنا يكون الصدق عميقاً في الإحساس والتعبير معاً .

أما المصدر الثاني : فهو انعكاس من حدث خارجي على نفسى ، كسماع قصة أو رؤية منظر جميل . . هذه هي مصادر الوحي عندى ولكن . . ما دام هناك وضوح في الصورة ، وبيان في التعبير ، فالشاعر صادق في تصويرها وفي التعبير عنها . . وللوصول إلى إعجاب القارئ أو السامع ، لابد من اختيار اللفظ الخلو . . والمعنى الواضح ، وموسيقية الكلمات وجمال القافية .

— أنت صاحب أحلى كلمات تغنى بها جيلنا . . فما هو أعلى مبلغ أخذته ثمناً لأغنية ألفتها ؟

— هو في الحقيقة أجرى عن عشر أغان ، كانت أول ما كتبت «لأم كلثوم» ثم أخذتها شركة إنجليزية للأسطوانات وسجلتها ، ورفضت أن أتقاضى أجرى من الشركة عن تأليف الأغنيات . . ولما عرفت «أم كلثوم» بذلك غضبت وقالت «لازم تاخذ حقل . . أنت هاتيقشش على الشركة الإنجليزية ؟» وإرضاء لها ذهبت لصاحب الشركة فقال لى . . «عاوز كام في الأغنية ؟ . قلت له (عشرة جنيه) .

فدهش الرجل . . وبينما هو يُعد الإيصال رأيت عنده (جهاز جرامافون) قديماً يستعمله في إسماع زبائنه الأسطوانات فسألته عن ثمنه . . قال (تسعة جنيه ونصف) . . وأخذت الجهاز . . ووقعت على الإيصال . . وظل هذا «الجرامافون» ذو البوق الكبير في غرفة نومي حتى سنوات قريبة . . كأعلى شيء عندي لأنه كان ثمناً لأول أغنياتي «لأم كلثوم» .

من خايف . . إلى يا مسهرى :

- ما هي أحب أغنياتك التي غنّتها «أم كلثوم» إلى نفسك ؟
- غنت لى «أم كلثوم» ٢٥٠ أغنية . أولها كانت . . خايف يكون حبك لى . . شفقة على . . وآخرها . . يا مسهرى . . كتبها كلها بإحساسى ونبضى . . كنت أقضى الليل كله أبحث عن كلمة . . كلمة واحدة أحس أنها تعبر عما أريد أن أقوله .

وخلال أربعين عاماً من العمل المشترك بينى وبين «أم كلثوم» كنت أسابق نفسى فى تقديم أصدق الكلمات . . لقد راحت «أم كلثوم» . . وراح مصدر إلهامى . . بعد أن قالت :

يا مسهر النوم فى عنيه سهرت أفكارى وياك
الصبر ده مُش بإديه والشوق واخلى ف بحر هواك

وأحسست بكلمات (شاعر الشباب) تحتلق وهو يتذكر «أم كلثوم» ووجدت لزماً على أن أحترم آلام الفراق . . وانسجبت فى هدوء لأتركه مع عالم ذكرياته .

رامى بعد ٤ سنوات من الصمت*

نفسى أمشى أشوف الدنيا
أرجع أغنى وأقول الشعر ا

(أحمد رامى) الشاعر الرقيق النحيل ، ازداد نحولاً . . عندما تحدثت إليه هذه المرة وجدت صعوبة شديدة . . فسؤالى لا يصل إليه بسهولة . . وإجابته لا تأتى بسهولة كذلك .

فإن الأزمة الصحية التى مر بها منذ حوالى عامين و(رامى) يلزم غرفته ، لا يتركها إلا نادراً ، فقد شهيته للطعام وقل إقباله على الحياة .

ولولا مودة قديمة بيتنا ذكرته بها (السيدة حرمه) ما قبل (شاعر الشباب) أن يمنحنى هذا الوقت الممتع الذى استرجعت فيه ساعات أروع وأجمل عندما كان «رامى» يملأ مجلسه مرحاً وشعراً وحُباً ، رصيد هذا الرجل فى قلوب الناس وآذانهم أكثر من ٥٠٠ أغنية منها أكثر من ٣٥٠ أغنية بصوت «أم كلثوم» وبرغم هذا الرقم القياسى فإن رصيده فى البنك (صفر) .

رحلته مع الحياة مستمرة بعناد وأمل بعد أن جاوز الثمانين . ورحلته مع الغناء توقفت بعد (يامسهرنى) فى عام (١٩٧٢) .

قال لى (رامى) وهكذا يجب أن يناديه الجميع . أحلى أغنية كتبتها كانت (رق الحبيب) وأحلى أبياتها :

ولاقتنى خايف على عمرى لا يروح منى
من غير ماشوف حسن حبيبي

قلت له :
من كثر خوفى سبقت عمرى وشفت بكره والوقت بدرى
وضحك «رامى» ضحكة الطفل الصغير يرغم ما فيها من بحة الشيخوخة
وقال . .

- فعلاً . . دى أحلى . . بس الأولى جديدة لم يسبقنى إليها أحد .
«وأحمد رامى» من شعرائنا القلائل الذين يتميز شعرهم فصيحاً كان أو عامياً
بموسيقيته الطاغية ، لهذا كان سهلاً فى تلحينه ، عذباً فى غنائه ، قريباً من آذان
المستمع ومن قلبه . قال لى «رامى» :

- أنا لا أكتب الشعر أو الأغنية على الورق أبداً . أنا أختلى بنفسى وأغنى
الكلمات والمعيار عندى فى اختيار اللفظ هو موسيقيته ورنينه فى الأذن .

وتشارك السيدة «عطيات» حرم «أحمد رامى» فى الحديث :
- كان «رامى» يجلس مع الملحن ويغنى بنفسه الكلمات وإذا أحس أن هناك
لفظاً واحداً غير مريح للأذن فهو يغيره ويسرعه .
قلت لرامى :

- كتبت ٥٠٠ أغنية ، وستة دواوين ، معظمها فى الوجدانيات ، ولكننا لم
نقرأ يوماً وصفاً لفتاة أحلامك ، فهى دائماً كالنور يحيط بك فتغنى له . . لم تكتب
يوماً عن ملامحها ، أو أوصافها . .

- فتاة أحلامي ، هي كل جمال في الكون . . فأنا لم أعشق إلا الجمال . .
جمال الصوت . . وجمال الروح . . تزلزل كيأني النظرة الدافئة ، حتى لو كانت من
عيون غير جميلة ، لهذا كتبت عن الجمال والمحبة غير الحسى . . وأنا أعتبر الحديث
عن المرأة أو الحب بأسلوب حسى . رخصاً وانحداراً بالعاطفة وبالفن . وحتى
بإنسانية الإنسان .

وتذكرت عشرات الألحان تأتينا بصوت «أم كلثوم» ، وتذكرت معها صوراً
جميلة انطبعت في أذهاننا منذ كنا صغاراً .

ياللى القمر من بهاك . . . نور فى قلبى سناه
ولما أشوفك يروح منى الكلام وأنساه
وازاي أقولك كنا زمان والماضى كان فى الغيب بكره

قال «رامى» :

- عندما بدأت أدخل ميدان كتابة الأغنية كان الموجود فى السوق أشياء
مخجلة (الستارة الى فى ربحنا) و(الى جرى فى المنذرة) . . وأقنعتنى «أم كلثوم»
أن أكتب أغنيات بالعامية لتكون قريبة من أذن المستمع العادى . وكنت أول شاعر
يكتب الأغنية العامية . وبعدى بسنين طويلة قدم «شوق» بعض تجارب بالعامية
وطبعاً كان مكسباً كبيراً للأغنية .

وتزداد رغبتى فى أن أحدث «رامى» عن «أم كلثوم» ولكنى أتمشى الاقتراء
من دائرة أحزانه وأسأله عن كتّاب الأغنية الذين ظهروا بعده . . قال :

- بعد قيام الحرب الثانية ظهرت طبقة من السميعة غير المثقفين ، وهم
المعروفة بأغنيات الحرب ، وبدا الذوق الفنى العام يتغير ليلائم هذه الطبقة ، وكان
دخول عدد من مؤلفي الأغاني الجدد إلى الساحة أمراً طبيعياً حتى «أم كلثوم» . .

بعد أن ظلت ترفض أن تغنى أى كلمات إلا من تأليفى بدأت تقبل كلمات شعراء آخرين . . وفى الوقت نفسه حتى تبعد عن نفسها تهمة اعتمادها علىّ فى نجاحها ، ولم يهزنى القرار .

وغنت أم كلثوم لغيرى من الشعراء
وأسأل «رامى» عن شعوره وهو يسمع «أم كلثوم» تشدو بكلمات لشاعر غيره
فيقول :

- ولا حاجة . . كنت أستمع بصوتها دائماً . . فعندما تأتى الكلمات من
حنجرة «ثومة» تصبح شيئاً آخر . . رائع وجميل .
وألح آثار الإجهاد على وجه (شاعر الشباب) ، وأخشى أن تكون جلستنا قد
طالت . . ولكنه يتمسك بوجودنا معه :

- من زمان وأنا بعيد عن الناس . . نفسى أشوف الشارع . . أصعب يوم
شفتة فى حياتى كان يوم رجلى ما اتكسرت . . نفسى أمشى . . أشوف الدنيا نفسى
أرجع أغنى وأقول شعر . .

وتذكرت هذا البيت الذى كتبه «رامى» يوماً فى شبابه المبكر . . وأحسست أنه
كتبه من أجل هذه اللحظة :

فإذا سكت فقد حرمت شكائى ولرب شكوى نفست أكدارى
وأردت أن أخرج «برامى» من حصار الألم . . فقلت له . . حدثنا عن أسعد
يوم فى حياتك ويلتفت «رامى» ناحية شريكة حياته ويقول :

- لسه فاكرها . . هى طالعة السلم بملابس العرس البيضاء . . وأنا واقف
فوق منتظرها ولما قربت جريت عليها وبوستها من كتفها . . أنا فاكرا اليوم ده زى
ما يكون حصل إمبراح . .

وهل حققت الحياة «لرامى» كل آماله ؟

- أنا لم أتمن في حياتي شيئاً . . لم أكن طامعاً أبداً . . دائماً كنت قنوعاً راضياً . . وإن كنت طموحاً .

وماذا عن طموح الشباب ؟

- كان طموحي أن أصبح أحسن شاعر في عصرى . . وأظننى كنت كذلك . وأحسست كأن الارتعاشة قد زادت في صوت «رامى» . . ولاحظت أن فترات الصمت بين كلماته قد طالت .

وكان لزاماً على أن أجمع أوراقى وأودعه ورأيت على وجه «رامى» ابتسامة واسعة أكدت فعل السنين وآثار المرض الأخير .

مع السندباد الدبلوماسى *

ما زلت خائف أقول اللى فى قلبى
قابلت محمد عبد الوهاب مصادفة . . فغنى من تأليف . .
رحلت أمنياتى برحيل صديقتى «أم كلثوم»

انضم هذا الأسبوع كتاب (رحلة مع الظرفاء) للسفير أحمد عبد المجيد إلى مكتبة الكونجرس الأمريكى الشهيرة . وهذا ليس الكتاب الأول للمؤلف ذاته ، إذ تضم مكتبة الكونجرس أربعة كتب أخرى له هى : (ديوان الهمسات) ، و (السندباد الدبلوماسى) ، و (أضواء على الدبلوماسية) ، و (لكل أغنية قصة) . عرفت اسمه أول ما عرفته من خلال أحلى ما غنى «محمد عبد الوهاب» (كلنا نحب القمر ، والقمر يوجب مين) ، و (خايف أقول اللى فى قلبى) ، و (مریت على بيت الحبايب) . ولم أكن أعرف أن (أحمد عبد المجيد) صاحب هذه الأغنيات الرقيقة هو نفسه «أحمد عبد المجيد» صاحب ديوان (همسات) ، وهو فى الوقت نفسه السفير «أحمد عبد المجيد» الذى تنقل بين مختلف قارات العالم سفيراً لمصر ، ثم مندوباً دائماً لمصر فى الجامعة العربية حتى عام ٦١ ، حيث ترك العمل الحكومى وعاد إلى هوايته القديمة . . الكتابة والشعر . .

• أكتوبر ١٩٧٨

وعبر رحلة السنوات السبعين . قدم «أحمد عبد المجيد» للمكتبة العربية ستة عشر كتاباً بين مؤلف ومترجم ، تتميز بتنوع موضوعاتها بين دواوين الشعر والقصص والمسرحيات المترجمة ، والدراسات الدبلوماسية وأبحاث في تفسير الأحلام ، وأعترف أنها كانت مشقة أن أبدأ الحديث مع إنسان موسوعي مثله . . ولكني لم أكن أعرف أن «أحمد عبد المجيد» ، صاحب (رحلة مع الظرفاء) ، وهو آخر كتبه ، هو واحد من أظرف من صادفت في حياتي . حديثه ابتسامه طويلة . . وفكر أصيل وثقافة رفيعة . . وصوته تأمل عميق وفكر ناضج .

(خايف) مع «عبد الوهاب» :

- كان لقاتي «عبد الوهاب» مصادفة عن طريق أحد أصدقائي في نادي الموسيقى الشرق سنة ١٩٢٥ . ولم أكن أتصور أن هذا الكلام قابل للتلحين . . فقد كنت طالباً في الحقوق وقتها ، وكنت أسجل يومياتي وخواطري في كلام منظوم لمجرد التسلية ، وفي هذا اللقاء الأول أخذ «عبد المطلب» مني (خايف أقول) ، و«كلنا نحب القمر» و(في الجو غيم حجب القمر) ، وبعدها قدمت مجموعة أغان ، وغنى «عبد الوهاب» منها حوالي عشرين أغنية ، إلى جانب مجموعة أخرى لمطربين آخرين من أشهرها ، أغنية «عبد المطلب» (السبت فات والحد فات) . ولم يمنعني من الاستمرار في كتابة الأغاني إلا عملي في النيابة . . فقد تصورت أني أقف في المحكمة أستجوب المتهم فيرد . (خايف أقول الى في قلبي) . وإن كنت قد استمررت في كتابتي للشعر الفصيح الذي بدأت معه منذ سن صغيرة جداً .

وقد عاصرت مجموعة من أساطين الفن والشعر في مصر وحضرت جلد

وصالواتهم . ولهذا بصماته الواضحة على حياتى . من هؤلاء (شوقى بك) ،
«وحافظ إبراهيم ، وأحمد رامى ، وأم كلثوم ، وعبد الوهاب» .

«أم كلثوم» .. أمل حياتى :

- ما هى أمنيته التى لم تتحقق عبر رحلة هذه السنين ؟
- كانت واحدة من أعز أمنيته أن تشدو «أم كلثوم» بأغنية من كلماتى ..
- وبرغم أنى كنت من أصدقائها فإن الله لم يشأ أن يحقق لى هذه الأمنية ، ورحلت
«أم كلثوم» ورحل معها آخر أمل لى فى تحقيق هذا الحلم .
- ما رأيك فى مستوى كلمات الأغنية العربية الحديثة ، خاصة وأنت كنت
رئيساً للجنة النصوص فى إذاعة القاهرة لفترة غير قصيرة ؟
- لا ينكر أحد أن هناك عدداً كبيراً من المؤلفين الشبان الذين يضيفون كل
يوم أثراً مضيئاً من الكلمات الرقيقة منهم : «صلاح جاهين ، والأبودى ، ومجدى
نجيب ، ومرسى جميل عزيز ، ومأمون الشناوى وغيرهم» .
- إلا أن هناك عشرات المدعين الذى استطاعوا التسلل إلى الميدان ، وأشاعوا بين
الجمهور حالة من فقدان الذوق ، فظهرت مجموعة من المؤدين الذين استغلوا حب
الناس لكل ما هو غريب وخفيف فقالوا (أى كلام) ، فزادوا من التخفاض مستوى
المستمع ، وأذكر أنى تقدمت (من باب المرح) ، باقتراح للإذاعة وقت أن كنت
رئيساً للجنة النصوص بها ، لصرف (بدل عدوى) ، لأعضاء اللجنة حياية مما كان
يصلنا من سطور يسميها أصحابها شعراً غنائياً ، وهى كلام لا يمت للشعر بصلة ،
فهى بلا وزن ولا قافية ولا موسيقى ، وليس بها حتى ماء الشعر .
- وما سر مسحة الحزن التى تغلف أغلب أغانينا الحديثة ؟
- الفن انعكاس لواقع الحياة ، كما أنه انعكاس للبيئة والمزاج الشخصى

لصاحبه . وهو يتأثر بكل ما حوله . . حتى بالحالة الاقتصادية . وقد يكون لتعدد الحياة اليومية للإنسان المعاصر - ليس في مصر وحدها ، ولكن في العالم كله - أثر في وجود هذه المسحة الحزينة على الفنون عامة .

ونحن نلاحظ أن المائة سنة التي عاشتها أوروبا في سلام بعد حروب نابليون ، عم الرخاء فيها أرجاء القارة ، فازدهرت الفنون ، وأعطت أوروبا العالم في هذه الفترة أعظم السيمفونيات ، وظهرت أعظم مدارس الفن التشكيلي . باختصار . فإن الرخاء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي يؤثر على الفن كمّاً وكيفاً .

ولكن إنصافاً للحق . . فإن الكلمة الطيبة والصداقة مهما كانت حزينة ، فإنها تشرق في وجدان المستمع جلالاً ومعاني نبيلة .
- أنت صاحب مجموعة من أحلى وأرق وأعف أغاني الحب . . فانت القائل :

فأصون قلبي ذل سؤلك أن أراك فلا أراك
هذا نصي من هواك وصنع ما نسجت يدك

وأنت القائل :

وأدبني شايف بعيني كل اللي شايفه بعينه
والنسمه بينه وبينى تنقل لى شوقي لعينه

فما هو الحب عندك :

- الحب دفعات ربانية . . وهو علاقة قلنسية والله هو الذى يدفع الإنسان إلى الحب . . هذا إذا كان حباً طاهراً . وهناك قصة خيالية من الأدب اليونانى القديم

تقول إن «زيوس» رب الأرباب خلق الناس أنصافاً . . وراح كل نصف يبحث عن نصفه الآخر إلى أن يلتقيا .

وقد يكون هذا اللقاء زواجاً أو حبا أو عشقاً ، وربما لقاءً فكرياً . .

- كيف تلقيت خبر هبوط الإنسان على سطح القمر وأنت القائل يوماً . .

كلنا نحب القمر والقمر يحب مين

حظنا منه النظر والنظر راح يرضى مين

والقائل :

في الجور غيم حجب القمر وحرمني من حسن جلاله

- في الحقيقة كانت صدمة لي . . فقد خيبت الأفكار الصناعية والصواريخ

أحلام الشعراء وحطمت خيالاتهم . . ولكني لا أظن أن أحداً سيحاول أن يكتشف

بديلاً لهذا المعلق في فضاء الكون يلهمه شاعريته وخياله . .

ربنا يعوض علينا . .

برغم هذا . . وبعد انقطاع أربعين عاماً عن كتابة الأغنية . . عدت أكتب من

جديد وغنت لي «عفاف راضي» أغنية للقمر ، وهناك عدد آخر من الأغاني في

طريقها إلى الناس . وطبعاً . . بطل كلماتي دائماً هو القمر .

- اختياريك «لعفاف راضي» لتغني كلماتك معناه أنك معجب بصوتها ، وهي

من الأصوات الجديدة على غنائنا العربي . . فما رأيك في الأصوات الجديدة ؟

- أصوات المطربين بصفة عامة تشبه زهور أى حديقة . . فليس الياسمين

أجمل من الفل أو الورد أو البنفسج . . كل زهرة لها جمالها . . بعضها لون

ورائحة . . وبعضها لون بلا رائحة والبعض الآخر رائحة بلا لون .

المهم أن يؤدي الصوت الكلمات المناسبة له في قالب موسيقى مناسب كذلك .

- لي ملاحظة . . هي أن الطابع الدبلوماسي يغلب على إجاباتك ، ويبدو

- أنك حريص على صداقة الجميع و(خايف تقول اللى فى قلبك) ؟
- طبعاً صداقة الجميع هامة بالنسبة لى . . ولكن لا تنسى أن المهنة أحياناً لها حكمها . . وأحياناً . . أكون (خايف أقول اللى فى قلبى) .
- فالدبلوماسى غير الفنان . الدبلوماسى يتحدث باسم حكومته ويحرص على ألا يفضب منه أحد . . أما الفنان فهو يعبر عن نفسه وأفكاره الذاتية ، بكلماته الخاصة بعيداً عن أى قيد . . حتى قيود الزمان والمكان . . بل وقيود الواقع التى كثيراً ما يحطمها مخلقاً فى عالمه الخاص .
- وطبعاً لا وجه للمقارنة بين قيود الدبلوماسية وحرية الفنان .
- ولكن الحمد لله . . أثرت الدبلوماسية على علاقتى الشخصية ولم تؤثر على روح الفنان فى داخلى . . فأنا ما زلت حراً فى عواطفى وكلماتى .
- كان من الصعب أن أنهى حوارى مع صاحب أعف وأجمل كلمات الحب ، وكان سؤالى الأخير . .
- ما هى أحب أغانيك . . أو بلغة الإذاعة (تحب تسمع إيه) ؟
- خايف . . بصوت «فيروز» . . ولا تتصورى سعادتى وهى تشدو بها فى أثناء وجودها فى القاهرة .

مع «حسين بيكار» الرسام . . الموسيقى . . الكاتب

أقرب أبنائى شبيهاً بـ . . «يوسف فرنسيس»
تأثرت بالفن الفرعونى . . لأنه واضح وصريح

عندما تتأمل لوحاته تحس أنه داخلها بكل جوانب شخصيته ، فالخط يجرى على اللوحة بوضوح ونعومة ، وهذه هى ملامح الفنان «حسين بيكار» إنسان صريح وواضح ورقيق . . داخله صورة واضحة المعالم بلا حدود أو غموض ، وأعماقه صافية كصفاء الحياة كما تصورهما ريشته .

يحمل اسمه شهادة بأنه (تركى) ، وتحمل بصماته الفنية شهادة بأنه (اسكندرانى - مصرى) . ابن بلد أصيل . له عديد من الهوايات الفنية . برع فى كل منها ودرس واحدة فقط . . فهو عازف ماهر على عدد من الآلات الشرقية . العود والطنبور والبنزى - وله صوت جميل معبر . . فهو مغن لأول فرقة فى مصر . للموسيقى الشرقية . . وهو رسام حساس . . عبرت ريشته عن الواقع المصرى الشعبى بخطوط رومانسية رقيقة . . وكانت هذه المعادلة الصعبة هى جانب العبقرية فى شخصية (بيكار) الرسام الذى كان أول الدفعة الأولى لمدرسة الفنون الجميلة العليا فى عام ١٩٣٣ ثم عمل كأستاذ ورئيس لقسم التصوير فى كلية الفنون الجميلة

في الفترة من عام ١٩٤٢ إلى عام ١٩٥٩ .

- أنا مصري . . مصري . . من مواليد الإسكندرية في عام ١٩١٣ واسم جدى هو بىكار . وهو تركى الأصل . أسرقى فقيرة . . وليس لأحد من أفرادها اتجاه فنى واضح ، إلا أننى منذ طفولتى المبكرة كنت أنظر للمظاهر الفنية باندهاش ودهشة . وكنت دائماً أتمنى أن أحاكى ما أراه مرسوماً وما أسمعه منظوماً . . . كان دكان البراويز على ناصية الشارع يستوقفنى في الذهاب والعودة . . لأرى وأنعجب كيف انتقلت الطبيعة والأشجار إلى صفحات الورق . . . كنت أنهر من أصوات الموسيقى عندما كانت صديقات أُمى يزرنها يوم (المقابلة) وعندما كان معلم أختى الكفيف يأتى ليعطيها دروس العود ، فتعلمتها وأنا في السابعة . . وكنت أعطى دروساً في العود وسنى عشر سنوات .

- إذن أنت فنان موهوب ؟

- كلنا يحمل في داخله طاقة خلاقة . . وهى تتحرك بالدراسة والممارسة ، وعندما كنت في المدرسة الابتدائية كنت أهوى الرسم ، وشجعنى أساتذتى ، ولكنى لم أفكر أبداً في احتراف الرسم ، ولم يكن لدى أى تصور حول تنمية هذه الهواية . . ولكن الأقدار هى التى جعلتنى أقابل صديقاً لعائلتنا أعرف منه أن هناك ما يسمى بمدرسة الفنون الجميلة ، وأن الدراسة ستبدأ فيها في العام التالى ، والتحققت في الدفعة الأولى لهذه المدرسة وكنت الأولى على الدفعة سنة التخرج .

ما هى قصتك مع فرشاة الألوان ؟

بدأت محاولاتي في الرسم بالمحاكاة والتقليد . . كنت أقتل الصور وأكبرها . . أما محاولتى للخلق ، فكانت في سن الخامسة عشرة عندما مات أبى وتمتيت أن أرسم له صورة . . ولأنه كان شديد الشبه بى . رسمت نفسى ثم وضعت شنباً

وذقناً . ورسمت الصورة على قطعة من الشمع وبألوان أضفت لها زيت الزيتون لأنى سمعت أن الفنان الكبير يرسم « بألوان زيت على ورق شمع » وكانت النتيجة طبعاً مضحكة .

وأحست أمى هوايتى وحى للفنون فوافقت على دخولى مدرسة الفنون برغم أن هذا كان مرهقاً لها جداً ، وبعد تخرجى حاولت أن أعمل فى مجال العمل الحر ، ولكنى لم أوفق ، فعملت مدرساً فى وزارة المعارف من عام ١٩٤٢ إلى عام ١٩٤٣ ثم عملت مدرساً للتصوير فى كلية الفنون الجميلة ثم أستاذاً لهذا القسم حتى عام ١٩٥٩ .

ويجانب هذا فهناك تجارب عديدة فى الرسم لكتب الأطفال ومجلاتهم ورسم أغلفة الكتب والصور التوضيحية لها ثم الرسم فى الصحف والمجلات ، كل هذه التجارب أضفت لخبرتى الفنية آفاقاً وأعماقاً جديدة .

— تخرج على يديك وأنت أستاذ فى كلية الفنون الجميلة عشرات بل مئات . . من هم أبرز تلاميذك وأكثرهم تأثراً بشخصيتك .

أنا لا أسعد إذا رأيت أحد تلاميذى يقلدنى أو يتأثر بشخصيتى ، عندما كنت مدرساً كنت أتحيل نفسى فلاحاً عنده بستان كبير . وقد نمت فيه أنواع مختلفة من الثمار ، والفلاح لا يملك أن يغير ثماراً بأخرى . ولكنه يملك أن يروى البذور ويصلح ويقتلع الضار ويَقْوِمُ المعوج ، ثم تثمر الأشجار ، وتعطى أشجار العنب عنباً ، وأشجار الرمان رماناً — كذلك يُعطى غيط البصل بصلاً — والحياة لا تستغنى عن كل هذه الثمار . أما إذا حاول الفلاح أن يغير من طبيعة هذه الأشجار ، وأن يفرض على كل منها نوعاً معيناً من الثمار . فإنها لا تعطى ما يريد ، ولا تعطى ما تريد .

أنا درست لكل فنانى مصر بلا استثناء . كل الفنانين المعروفين حالياً تلاميذى .
وكلهم عندى ساء . لهم حظ واحد من الحب والإعجاب .

وأقرب هؤلاء الأبناء شبا بك :

- « يوسف فرنسيس » .. بيننا تقارب فى المزاج .. لكنه فنان صاحب شخصية
متميزة .

- من هو الفنان الحقيقى ؟

- الفنان الحقيقى هو الذى تعكس مرآة أعماله صورة الواقع .. وإذا لم تطابق
الصورة الأصل .. فلا بد أن المرأة عرسليمة .. لأن الفن الحقيقى هو مرآة المبدع .
والفن الجيد هو إفراز طبيعى لتفاعل الفنان مع بيئته .

والفنان الصادق يخرج فنه تلقائياً مثل نبض قلبه .. لا يتصنعه . لا يتعمده .
- أنت فنان صاحب ريشة متميزة وخطوط فريدة .. بأى المدارس تأثرت فى
الفن التشكيلى ؟

- تأثرت بالفن الفرعونى .. ثم بالرسوم اليابانية . فلها خطوط رقيقة
ورومانسية .

- وهل أثرت هذه المدارس الفنية فى نظرتك للمرأة .. المرأة التى ترسمها ؟

- المرأة فى الرسوم الفرعونية مثال ناطق للأنوثة الطاغية المحتشمة الوقور ، ..
فبرغم أنها تبدو عارية تماماً ، فإنها لا تثير الغرائز .. كذلك فى تصوير الطبيعة . الرسم
الفرعونى صادق ، ويهتم بالتفاصيل ويؤكد على المظاهر الكونية .. أنا عملت لفترة
مدرساً فى مديرية قنا ، وكنت أحرص أغلب الأيام على زيارة المعابد والآثار
الفرعونية ، وشربت روح الفن الفرعونى وأحببتها وشعرت أن هذا الخط يلائم
مزاجى الشخصى ، فأنا شخص واضح ودقيق وواقعى ، وتهمنى التفاصيل ، لأنهم

تؤكد المعنى داخل إطار اللوحة .

والمرأة التي أرسمها هي المرأة التي أقابلها كل يوم في الشارع والسوق والمكتب ..
أهتم بتفاصيلها لتتعلق بكل ما أريد أن أقوله ، ولكنها دائماً محتشمة وقور لا تثير
إثارة رخيصة .

- وتجربة الكتابة ؟

- أحياناً أحاول أن أضع يجوار صوري التي أرسمها في جريدة الأخبار تعليقات
مقفأة .. أنا لأنظم ولكني أكتب من وحى الصورة عبارات قد لا يجمعها
إلا بعض التفاصيل ولا يربطها إلا إيقاع واحد . أتعمده لأحافظ على النبض
داخل إطار الصورة المرسومة .

أما المقال فهو تجربة ومحاولة متواضعة لوضع ما يمكن أن يسمى بالثقافة الفنية ،
وهو نوع من الكتابة . ينقصنا في الصحافة العربية ، وتثقيف القارئ فنياً مسئولية
الفنان والناقد . وهذه محاولة أرجو أن يتمها آخرون .

- والموسيقى ؟

أحببت الموسيقى منذ طفولتي المبكرة ، وكان يجاور منزلنا رجل عمجوز يصنع
آلات الموسيقى الشرقية القديمة مثل العود والطنبور .. ، وطبعاً أنا لم أعرف حتى
أسماء هذه الآلات ، ولكني كنت دائماً أتمنى أن أمسك بهذه الأشياء الغريبة التي
تخرج لنا الألحان الجميلة .

ثم تعلمت العود وأنا في السابعة من عمري ، وظل هذا الحب وهذه الهواية
حتى يومنا هذا ..

- وما سر اهتمامك بالآلات الشرقية القديمة مثل الطنبور والبنزق ؟

- آلة البنزق آلة فرعونية ، وهي آلة رقيقة وجميلة وهي حفيذة آلة الطنبور أي
أنهما من عائلة واحدة ، وهذه الآلات تعطيني إحساساً بالأصالة ، وتعطيني

البصات الشرقية الصميمة .

- وما هو الوصف الذى تعطيه لنغمة البزق ونغمة الطنبور .

- البزق إيقاع سريع .. منتهى المرح . وهو يشبه الزغرودة .. ، أما الطنبور فإيقاعه بطيء .. ولصوته مسحة دينية وعمق صوفى .

- وماذا عن الفرقة الشرقية الموسيقية ؟

كانت فرقة للهواة كونها « عبد الرحيم محمد » وكنت أنا مطرب الفرقة الأول . وعازف العود والطنبور بها .. وكنا نقدم حفلات فى معهد الموسيقى الشرقية .. وفى بعض محطات الإذاعة الأهلية .

وكان يغنى معنا « فريد الأطرش » و« محمد عبد الوهاب » وغيرهم من مشاهير المطربين والموسيقين ، وكنا نسهر كل مساء فى منزل أحدنا . وهذه هى هوايتى الثانية التى لم أنتظم فى دراسة لها ، وإن كنت لم أهملها ، أعطيها اهتماماً قدر ما أعطيت هوايتى الأخرى (الرسم) .

والفنان « حسين بيكار » نموذج طيب للفنان الشامل الذى نفتقده كثيراً فى حياتنا الثقافية ، فهو رسام وموسيقى وكاتب ، وهاوٍ للعديد من فروع الثقافة والفن .. ولأن الفنان الشامل فى مصر ظاهرة نادرة ، لا تكاد تتكرر إلا مرات قليلة وفى أسماء محدودة .

- سألت الفنان « بيكار » عن السر فى ندرة هذه النوعية من الفنانين ؟

- تعود هذه الظاهرة إلى الانغلاق الفكرى ، والفهم الحائط لمبدأ التخصص لدى بعض العاملين عندنا فى حقل الثقافة والفن ، كما أن التربية التى تتلقاها أجيالنا تحد من تفكير النشء ، ولا تعطيه الفرصة لتوسيع أفقه ، ويؤكد هذا ويساعد على النظام الاجتماعى السائد الذى لا يشجع العمل الحر ، ويؤيد الارتباط ببقية الوظيفة فتضيق الفرص على الكثيرين لإشباع هوايات مختلفة ومتعددة .

الفنان المنغلق فنان محدود الأفق لأن الفنون تكمل بعضها البعض . فالموسيقى تتعمق بالرسم ، والرسم يتضح بالشعر ، وقلم الشاعر يتجسد بفرشاة الفنان . وربما كان لانغلاق الحياة الثقافية عندنا وافتقارها إلى اللقاءات التي تجمع المهتمين بالثقافات والفنون المختلفة ، دور في انغلاق الفنان على نفسه .

— لمن ترسم ؟

— عندما يطلب مني عمل محدد بعد دراسة الموقف الخاص به دراسة متعمقة ، ولكنني كثيراً ما أنفرد بنفسى لأضع انطباعات عن الحياة وعن الموجودات حول على صفحة بيضاء .. وتجرى فرشاتي معبرة عن داخلي وأنا حتى عندما أرسـم (البورتريه) .. فأنا أضع فيه جزءاً من نفسى .. أليست أعمالي هي أبنائي . استمر حديثي مع الفنان « حسين بيكار » لأكثر من ساعتين ونصف .. حديثه في حلاوة رسمه .. وروحه في صفاء لوحاته وأخيراً سألته :

— ما هي رسالتك في الحياة ؟

فقال في بساطة :

أنا وظيفتي مثل وظيفة الكرسي الهزاز .. يجلس عليه الشخص بعد عودته من عمله لينال قسطاً من الراحة .. وعلى فكرة هذه ليست كلمتي إنها عبارة قالها الفنان الفرنسي المعاصر (ماتيس) .

لقاء سريع مع «مدحت عاصم»*

الفنان الذى يعيش الربيع فى أيام الخريف :
مارست الرياضة .. وأحببت السياسة وعشقت الفن

فى العشرين من فبراير القادم يضىء له أصدقاؤه سبعين شمعة للاحتفال بعيد ميلاده كما تعود كل عام . وما أكثر أصدقاءه وأحباءه ! . فهو فنان يحمل فى قلبه كل الحب لكل شيء ولكل إنسان .. أمضى حياته يعطى ولا يطلب الجزاء أو التقدير .. وفى الشهر الماضى اختاره المجلس الأعلى للفنون والآداب للحصول على جائزة الدولة التقديرية فى الفنون .

كنت وأنا فى طريق للقاء (مدحت عاصم) أحاول أن أستعيد كل ما اخترته ذاكرتى من معلومات موسيقية ، فقد كنت أظن أن حديثى معه سيكون حول الموسيقى الشرقية والسماقيات والأدوار ، فأنا لم أكن أدري أنى فى طريقى إلى الأديب والمصور السياسى والموسيقى «مدحت عاصم» .

بدأ حديثه معى حول مشاكل الحياة اليومية .. ومشاكل الصراعات الدولية ، ثم أجاب بابتسامة على كل علامات الاستفهام التى ارتسمت على وجهى وقال :
(بالحب تنتهى كل مشاكل هذه الحياة .. بالحب يعم الرخاء وجه الأرض ..

* يناير ١٩٧٩

وبالحب تنتهى الخلافات المذهبية والفكرية بين الناس ، بالحلب تترفرف حاتم السلام .

ولفتت نظرى لوحة علقها فى مكان مميز ، تحمل إهداءً من الفنان السكندرى « سيف وائل » بتاريخ ١٩٧٣ وهى مرسومة باللونين الأسود والرمادى .. فعلى الصفحة الرمادية تبدو صورة بيانو (أسود) عجوز ضخمة لكنه جميل . قوائمه (رشيقة) لكنها قوية .. ولاحظ شيخ الموسيقيين فى مصر اهتمامى باللوحة فقال : هذه اللوحة اسمها (مدحت عاصم) رسمها صديقى ورفيق أيامى الفنان « سيف وائل » . أما هذه الصورة فهى من تصويرى أنا ...

- إنها صورتك ؟

- لا .. إنها صورة أختى .. فهو قريب الشبه منى ..

- إذن فأنت تهوى التصوير الفوتوغرافى ؟

- لا يوجد فن لم أمارسه بدرجة أوبأخرى .

- حتى الكتابة ؟

- لقد عدت لأكثر من خمسين عامًا .. فقد كنت أكتب فى شبابه المبكر ما يمكن أن يسمى بالشعر المنشور .. وأحياناً يصبح شعراً حراً .. محاولات أضع فيها انطباعاتى .

- ومتى بدأت قصتك مع الموسيقى ؟

- بدأت عندما منعنى الأطباء من ممارسة هوايتى المفضلة كرة القدم . بعد أن كسرت قدمائى . فقد كنت أكرس كل حياتى للرياضة . وكنت أمارس السباحة والقفز والكرة وحمل الأثقال والمصارعة .

- نقلة كبيرة .. من موقع الجناح الأيمن إلى موقع المايسترو ؟

- نصيب .. لكن ميولى الموسيقىة كانت موجودة داخلى منذ الصغر . فقد كان

منزلنا في العباسية ملتقى لأقطاب الفكر والفن والأدب والسياسة في مطلع هذا القرن .. لقد فتحت عيني لأرى في منزلنا « سعد زغلول » وأحمد لطفي السيد . وأحمد شوقي . وحافظ إبراهيم ، والشيخ سلامة حجازي وغيرهم » . لكن قرار منعي عن الرياضة كان فرصة لكي أعطى هذه الهواية حقها من الاهتمام . ثم كان فرصة كذلك لكي أقرأ في مكتبة والدي عيون كتب التراث العربي . مثل (الأغاني للأصفهاني) . (والمستطرب في كل فن مستطرب للأبشي) وطبعاً القرآن الكريم وتفسيره قبل كل هذا .

لقد بدأت في سن الرابعة عشرة أتعلم العزف على الكمان على يد « سامي الشوا » . وأتعلم العود على يد « الشيخ إبراهيم القباني » . ولما وضع اهتمامي بالموسيقى نصحتني أمير الشعراء « أحمد شوقي » أن أدرس الموسيقى في معهد كونسرفتوار (بيجن) وكان يقوم بالتدريس فيه أستاذة ألمان وإيطاليون ونمساويون .. وتعلت هناك كتابة النوتة وقراءتها والعزف على البيانو . ثم بدأت أهتم بالشئون السياسية وأنا في المدرسة الثانوية وفصلت من مدرسة فؤاد الأول الثانوية لتزعمي مظاهرة ضد سياسة الكسراي والملك « أحمد فؤاد » .. وانتظمت بعد ذلك في دراسة الزراعة ولكنني لم أتمها .

- عرفتكم الأوساط الفنية والثقافية في مصر في أثناء دراستك ؟

نعم .. فقد كنت أكتب في عدد من الصحف مثل (السياسة الأسبوعية) ، ونشرت بها سلسلة مقالات وعمرى ستة عشر عاماً كان لها صدى كبير وكانت بعنوان (موسيقانا الشرقية وحاجتها إلى العناية والتهديب) . وبعدها رشحت للانضمام إلى مجلس إدارة معهد الموسيقى الشرقى .. لكنني اعتذرت وقتها لأنني كنت صغيراً .

ثم كتبت سلسلة (أعلام الموسيقى الغربية) في البلاغ الأسبوعي ، وقد رشعنتني

هذه المحاولات لمنصب المشرف على الموسيقى الشرقية في أول إذاعة مصرية رسمية .
سنة ١٩٣٤ وبعد ذلك شغلت منصب المدير الفني الشرق للإذاعة .

- ما هي الرسالة التي حققها لك عملك في الإذاعة ؟

- كان عملي في الإذاعة هو فرصتي لكي أطبق ما تعلمته وما وصلت إليه بدراستي ، وهو أن موسيقانا تفتقر إلى كثير من الأسس العلمية لكي تصل إلى مستوى عالمي فكان أول مشروعاتي في الإذاعة هو تكوين فرقة للموسيقى الشرقية يكون هدفها تقديم الموسيقى المصرية المتطورة التي تقترب من الموسيقى العالمية . وكانت هذه الفرقة هي نواة فرقة الموسيقى العربية . ثم كونت أوركسترا على النظام الأوربي المعروف تولى قيادته « محمد حسن الشجاعى » . وكانت هذه هي نواة أوركسترا القاهرة السيمفونى .

لقد نجحت في وضع الموسيقى البحتة في مكانها . وأثبت أن لها دوراً منفصلاً عن دورها في تلحين الأغنية . كما قدمت للإذاعة عشرات الألحان الجاهية ، وكانت هذه هي أهم الإنجازات الفنية التي قدمتها للموسيقى .

- فما هي الإنجازات الأخرى ؟

- لقد فتحت الباب أمام المؤلف المصرى لكي يبدع في مؤلفاته ، فقدمت سماعات وكانت أعمالاً رائدة . فهدت الطريق وشجعت غري . وكنت أحرص على الأساليب العلمية في كتاباتى الموسيقية ، وأصنفت إلى فرقة الموسيقى الشرقية التى التشيللو والكونترباس .

- نعرف أنك قدمت « فريد الأطرش . وأسمهان ، ومحمد فوزى ، ولىلى

مراد . ونجاة على » .. فما هي الأصوات الجديدة التي تعجبك !

- للأسف ليس بين الأصوات الجديدة هذا الصوت الذى يمكن أن نحس فيه الإبداع أو بأنه صوت مثقف .. كلهم مؤدون ، ربما كان الصوت الوحيد المثقف

هو صوت « عفاف راضى » .. وهى ظاهرة جديدة فى عالم الغناء المصرى ..
وكان لابد من وقفة نلتقط فيها الأنفاس بعد رحلة الموسيقى الطويلة .. وقبل أن
نتقل إلى موضوع آخر قام « مدحت عاصم » وبحفلة الشباب جلس أمام
(البيانو) .. وعندما لمست أصابع الفنان أصابع آله الأثيرة . خرجت نغمتها
(لسماعى) من تأليف « مدحت عاصم » قطعت سكون شقته الهادئة ذات الطابع
العربى . ثم انتقل إلى مقعد آخر احتضن عوده . ومال عليه برأسه وكأنه يسمع شيئاً
لا نسمعه نحن .

- أنت فنان تجيد العزف على البيانو والعود ؟
أضاف والنأى والكمان وعدد آخر من الآلات .
- أنت مايسترو فى قاعات الموسيقى وساحات القتال !
وابتسم الفنان « مدحت عاصم » وقال :

- هذا القول يعيدنى إلى أيام الشباب .. لقد بدأ اهتمامى بالسياسة وأنا صغير
فقد كان يؤم بيتنا أقطاب السياسة فى مصر . وكنت أسمع مناقشاتهم وأحاديثهم ،
وعندما بدأت أتابع الحياة العامة . كانت مصر تعيش أحداثاً كبرى . وكنت زعيماً
طلابياً فى المرحلة الثانوية .. ولما قامت الحرب العالمية الثانية . دعوت للثورة
وللتخلص من الملكية ومن الاستعمار فقبض على وسجنت فى عام ١٩٣٩ .
وفى عام ١٩٤٨ تطوعت فى حرب فلسطين . ولما عدت إلى مصر اشتركت فى
تشكيل خلايا فدائية لمقاومة النظام الملكى والاستعمار الإنجليزى ، إلى أن قامت
ثورة يوليو . فكنت مراقباً عاماً للدعاية فى هيئة التحرير . وفى ٥٤ - ١٩٥٥
سافرت إلى الحدود المصرية الفلسطينية للاشتراك فى العمليات الفدائية . ولما
أصبحت عجوزاً عدت إلى ميدان الموسيقى فعملت مستشاراً فنياً للموسيقى والغناء
ورئيساً للجنة الاستماع بالإذاعة .

- صف لنا فرحتك بالجائزة ؟
- فرحق الحقيقية هى أن أجد كل مَادَعَوْتُ إليه وأُفْنِيت شبابى من أجله قد تحقق فى مجال العلم والثقافة الموسيقية .
- هل حققت أملك فى تقديم موسيقى مصرية ؟
- لقد حاولت وليس لى حق تقييم تجربتى .
- أين نسمع الموسيقى المصرية الحقيقية ؟
- فى الريف المصرى نسمع الموسيقى التلقائية الجميلة . ومن القرية يخرج كل فن أصيل .

- وماذا عن قصة معرفتك « بمحمد عبد الوهاب » ؟

- سمعت « محمد عبد الوهاب » فى أول حفل غنى فيه على مسرح معهد الموسيقى الشرقية (العربية جاليًا) . وكان يومها شابا يافعًا . وفى تلك الليلة غنى (الليل لماخلى) . ورأيت يومها شيئاً جديداً مختلفاً عما كنت قد تعودت سماعه وأحسست بالإبداع الموسيقى فى اللحن إلى جانب الغناء ، ونشأت بيننا صداقة وطيدة ، ومن خلال هذه الصداقة أهديته مجموعة أسطوانات غربية « لبتوفن » وموزار ، وشوبان ، وفاجز . وأهدانى هو مجموعة أسطوانات عزف على الناي (لأمين بزارى) وكان إماماً لعازفى الناي فى زمانه ، ومن خلال سماعى لهذه المجموعة ازداد تعلقى بالنغم الشرقى ، واقتربت على « عبد الوهاب » وقفتها للحاق (بكونسرفتوار برجين) ، فكان أول ملحن مصرى يجيد النوتة الموسيقية قراءة وكتابة .

ثم عرفت على أستاذه « درويش الحريرى » الذى أخذت عنه أصول التلحين الشرقى وحفظت عنه الأدوار والتواشيح ، ودامت صداقتى بعبد الوهاب طوال هذه السنين .

وتركت الفنان « مدحت عاصم » الذى كان رئيساً للجنة القومية المصرية للموسيقى التابعة لليونسكو ، ثم مثل مصر فى المجلس الدولى للموسيقى التابع لليونسكو فى عام ١٩٧٥ . ويشغل حالياً منصب المستشار الفنى للموسيقى والغناء ورئيس لجنة الاستماع فى الإذاعة المصرية .

تركت الفنان الذى يمتلئ بيته بصور فوتوغرافية التقطها بنفسه لعدد من زعماء العالم. ولحجوم المجتمع . تركت الفنان « مدحت عاصم » وقد أمسك بيده الناي العجوز وراح يحكى معه حكاية زهور الربيع التى تتفتح فى أيام الخريف .

ثلاثي « صلاح طاهر »

- الملائكة ..

- الیوجا ..

- الفن التعبیری

فی مكتبه بصحیفه الأهرام طالعنی صور عمالقة الكتابة والبیان والصحافة فی مصر ، رأیت « مصطفی لطفی المنفلوطی ، وأحمد لطفی السید ، وأحمد شوقی ، وبشارة تقلا وجبران خلیل جبران وتوفیق الحکیم و غیرهم » وقد اصطفت صورهم الزيتیة تحمل توقيع (صلاح طاهر) .

قال لی الفنان « صلاح طاهر » إنه یستعد لمعرض یضم صور کتاب الأهرام وأدباء مصر . تطلعت کثیراً إلى صورة أستاذ الجلیل « أحمد لطفی السید » ، فقد أحسست فیها بأعماق المفکر المصری الأصل . تخيلت أنى أحداثه ، وأن شفثیه تکادان تنطقان بالحکمة .

ولما لاحظت الفنان « صلاح طاهر » اهتمامی بهذه اللوحة بالذات قال لی :
- کان « لطفی السید » من فلاسفة عصره .. لقد قرأت کل ما كتب وأحبیته ، فأنا کثیراً ما أقرأ فی الفلسفة .

- یقول البعض إن الفلسفة هی تجرید تجارب الحیاة ووضعتها فی خطوط

عامة . كما أنها اختزال للخبرات والتأملات وصياغتها في نصوص كلية
 - هذا صحيح .. فالفلسفة هي تجريد العلوم الإنسانية .
 - هل هذا هو سر تعدد لوحاتك التجريدية وقد رأيت على الأقل أربعاً منها في
 طريقك إلى مكتبك اليوم .
 - صحيح .. فمعظم أعمالي في السنوات الأخيرة تتجه إلى التجريد مع التعبير ،
 فالتجريد يبسط الخطوط ويختزلها في الوقت الذي يخرج فيه الأسلوب التعبيري
 رؤى خاصة للأشياء والأشخاص ، والفن التقليدي يحمل لنا مثلاً علياً .. لكن
 النظرة المتحررة والفكر التقدمي ، يجب أن يستلهم هذا القديم ، ويبتكر مفهوماً
 أو قالباً جديداً يلائم روح العصر .
 ويرى الفنان « صلاح طاهر » أنه ليس صحيحاً أن البساطة هي روح العصر .
 فالتكنولوجيا الحديثة ودخول الميكنة في عديد من مظاهر حياتنا حول الفن إلى
 مجموعة من الأشياء المعقدة ، والفن يحاول أن يكون واحة البساطة للإنسان
 المعاصر . ولكن أحياناً يحدث عكس ذلك .. فقد رأيت في بعض المعارض
 الأوروبية كيف دخلت التعقيدات على بعض الأعمال الفنية .

اليوجا والشباب :

- تحدثت طويلاً مع الفنان « صلاح طاهر » ، عن أفكاره الخاصة في الحياة
 قال لي :

- أنا أقرأ كثيراً في فلسفة الأديان ، وأمارس رياضة اليوجا ، واقتناء الـ
 إحدى هواياتي التي أنفق فيها كثيراً من دخلي ، أما أبنائي فواحد .. « أيمن » و
 بالملات ولا أعرف مكان أغلبها ، منها ثمانون لوحة في مؤسسة الأهرام و
 ظهرت علامات الدهشة على وجهي عندما علمت أن الفنان « صلاح ط

من مواليد ١٩١١ ، وظننت أن في الرقم خطأ . وأن صحته ١٩٣١ ولكنه عاد فأكد لي أن الصحيح هو ١٩١١ .

- قال لي الفنان « صلاح طاهر » :

إن المصادفة هي التي جعلته يحصل على ثلاث جوائز في ثلاثة أعوام متتالية .
نقد حصل على جائزة جوجنهايم العالمية في عام ١٩٥٩ وعلى جائزة الدولة التشجيعية في عام ١٩٦٠ وعلى الجائزة الأولى في بينالي الإسكندرية في عام ١٩٦١ .

ثم حصل في عام ١٩٧٤ على جائزة الدولة التقديرية في الفنون .

معالي القوّان :

وأسأل الفنان « صلاح طاهر » الذي يشغل منصب المستشار الفني لجريدة الأهرام منذ عام ١٩٦٦ عن فكرته القديمة لرسم مجموعة لوحات تمثل بعض معاني القرآن الكريم فيقول لي :

- هذه الفكرة راودتني منذ أكثر من عشرين عاماً وعرضتها على شيخ الأزهر الشيخ « محمود شلتوت » ، وتقبل الفكرة ورحب بها لأنه لا اعتراض على أن تحمل اللوحات الفنية بعض معاني القرآن الكريم . وكان لقائي بالشيخ « شلتوت » مشعراً ، لأنه كان رجلاً معروفاً بثقافته ورحابة أفقه .

إلا أن الموضوع أثار بعض الجدل ، ووجدتني أواجه أفكاراً متحجرة ووجهات نظر محدودة ، فأرجأت المشروع ، وأرجو أن أتمه قريباً . وهناك لوحة واحدة نفذتها ، وكانت من وحى الآية (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) (سورة البقرة آية ٣٤) .

وكان هدفي أن أقرب معاني القرآن من خلال الرمز لإيماني بأن عنصر الرمز هو

الذى جعل الأديان كلها نستمر ، برغم اختلاف العصور والثقافات) .
 شاهدت عشرات اللوحات بريشة (صلاح طاهر) ، التجريد هو أسلوبه
 الشائع وألوانه صريحة ، وتعطى إحساساً بالعمق ، والرؤية المدققة وقفت أمام بعض
 لوحاته التى التزم فيها بالأسلوب التعبيرى ، فرأيت أشخاصه شديدى الطول .
 وخلفياته تتداخل فيها الأشكال الزخرفية مع الأشكال التجريدية .

واستوقفتنى إحدى لوحاته .. ووجدتني أردد قوله تعالى (الله نور السموات
 والأرض) فاللوحة ذات الخلفية الزرقاء فى لون السماء الصافية تحمل كلمة (هو)
 باللون الأخضر الفوسفورى والأصفر ، مما جعل حروف الاسم يشع نوراً ،
 وأحسست بفرشاة الفنان تسبح على لوحة الصورة وتنطق هامسة (هو .. الله) .

حدثنى الفنان (صلاح طاهر) عن لوحته (هو) فقال :
 - يستخدم بعض التشكيليين حروف الكتابة العربية بشكل زخرفى ، وحاولت
 أنا أن أستخدم هذه الحروف بشكل تجريدى ، فأخرجت هذا التشكيل الجمالى بهذه
 الألوان التى تعطى نفس الإحساس حتى لمن لا يعرف حروف العربية .

مدير الأوبرا :

كان لابد أن أسأل الفنان التشكيلى « صلاح طاهر » عن ظروف عمله كمدير
 لدار الأوبرا فى عام ١٩٦٣ فقال : أنا أومن بوحدة الفن ، والفن الصادق ينبع
 دائماً من الوجدان ، فالموسيقى والغناء والرقص والرسم كلها أدوات يعبر بها الفنان
 عن وجدانه ، ولكن بأسلوبه الخاص ، والأوبرا من الفنون الشاملة التى تحتاج إلى
 تعاون أكثر من فنان ، كما أن وظيفة مدير دار الأوبرا وظيفة ثقافية ومتصلة
 بالعلاقات الفنية العالمية وليست وظيفة إدارية .

فن - وثقافة :

فى بيت الفنان « صلاح طاهر » لا يلفت نظرك إلا اللوحات الزيتية ورفوف الكتب .. ويبدو أن الفن والثقافة هما محور حياته ، وسألت زوجته كيف تسير الحياة اليومية للفنان الرسام « صلاح طاهر » فقالت لى :

- برنامج زوجى اليومى يتوزع بين نشاطه العام مثل حضور لجان مجلس الفنون ، أو المجالس القومية المتخصصة أو الأهرام أو نادى الروتارى ، إلى جانب المحاضرات الثقافية أو جلوسه فى مرسىه ، أما أسعد أوقاته فهى التى يقضيها مع أحفاده .. أبناء (أيمن) .. ابنتا الوحيد .

ويلتقط الفنان « صلاح طاهر » خيط الحديث من زوجته وتلمع السعادة فى عينيه وهو يتحدث عن (أيمن) . أيمن فنان مجدد .. وبرغم أنه يشبهنى فى كثير من الأمور ، فإنه صاحب شخصية فنية خاصة . فهو يمثل جيله ، ويمثل ثقافته ، وإن كان قد تأثر بى فى نواح شخصية أخرى .

فهو يعشق القراءة مثل ، وإن كان له رأيه الخاص ، كما أنه يمارس نفس الرياضة التى كنت أمارسها فى نفس السن . وهى (الملاكمة) . وقد حصل كما حصلت على الميدالية الذهبية أما الآن فهو يهوى رياضة الغطس تحت الماء . - هل يمكننا اعتبار (أيمن) امتدادا لمدرسة والده الفنان « صلاح طاهر » ؟

وأجبنى الفنان صلاح طاهر :

- بالطبع لا .. فالظروف التى نشأ فيها (أيمن) تختلف تماماً عن الظروف التى نشأت فيها . أنا بدأت رحلتى من الصفر ، بدأت من التقليدية الكلاسيكية ، ثم مررت بالمرحلة التأثيرية خاصة فى رسم المناظر والموضوعات الطبيعية والعامة .. ثم انتقلت إلى التعبيرية ، ومنها بدأت أعبر بحرية فى الخط واللون والشكل والموضوع ،

وبعدها وجدت في التجريد متعاً أكبر.

بعد كل هذه المراحل ، وبعد كل هذه التجارب ، وجدت نفسي في أسلوب خاص يمكن تسميته بالأسلوب التجريدي التعبيري .
أما بالنسبة (لأمين) ، فقد وفرت عليه كل هذه الرحلة .. وبدأ هو من حيث انتهت أنا .. وهذا هو منطق الحياة والأمور . فلو بدأ هو .. كما بدأت فسينتهي إلى حيث انتهت ، ولن تكون أمامه فرصة للتجديد والابتكار . ومن المدهش أن حفيدي .. (ابن أمين) .. بدأ يناقشنا هو الآخر .. عمره سبع سنوات ولكنه فنان حساس ، وله لوحات لن يصدق أى ناقد فى أنها من رسم طفل صغير ، ويبدو أنه ورث الحساسية الشديدة للون والخط عن أبيه .

- وعن جده .. ؟

وتنطلق ضحكة الفنان « صلاح طاهر » .. معبرة عن شبابه وثقته بنفسه وفروحه بحيل الفن الجديد . وقبل أن أصفح الفنان الكبير مودعة قام إلى مكتبه وعاد إلى بكتاب كبير ، وقال لى :

- أنصحك بقراءة هذا الكتاب .. إنه وصفة مضمونة للصحة والشباب وطول العمر .. وأرجو أن تعيدى الكتاب مرة أخرى .
وأمسكت بالكتاب لأقرأ عنوانه
(اليوجا .. تطيل عمرك)

مع الطبيب كاتب الحرام ، والعيب ، والنداهة*

« يوسف إدريس » يكتب رويته على ورق سوليفان

وينادي بحزب نسائي يدافع عن المرأة !

كان يعد نفسه ليكون (جراحاً) أداته المشرط والمقص .. وهدفه هو تخفيف آلام الناس .. وربما قضى ساعات من نهاره وليله يتخيل نفسه بالرداء الأبيض والقناع المعقم وحوله مساعدوه ، والكل يعمل ، والهدف هو إنقاذ هذا المريض الذي زاره يوماً يحمل متاعبه وآلامه .

ولكن مع السنوات استبدل « د . يوسف إدريس » وظيفة القصاص بوظيفة الجراح ، واستبدل القلم بالمشرط ، وبدلاً من أن يزوره المرضى في عيادته طلباً للشفاء وقد تحسس كل منهم موضع الألم بأصابعه المرتعشة ، أصبح يزور هو الناس في بيوتهم ويضع يده على موضع الألم .. بعد أن تتعري الحقيقة وتنتزع الأقنعة . وبدلاً من كلمات صغيرة غير محببة في تذكرة الدواء ، أضحت عباراته الرقيقة تملأ صفحات الكتب والمجلات .

لم يكن أول طبيب يهجر الطب إلى الأدب ، ولكنه أول طبيب يمارس مهنة التشريح ووصف الدواء والعلاج في كتاباته .

• يونيو ١٩٧٩

سألته عن الحب فقال :
 - إنه أعلى مراحل العلاقة بين الرجل والمرأة .
 أما المرأة في نظره فهي - الحياة
 والزواج - هو مصنع هذه الحياة .
 - وهو يرى أن الأطفال أجمل شيء على ظهر الأرض .

أخذني الكبار من الصغار :
 سألته . هل لك تجربة في الكتابة للأطفال ؟
 وابتسم « د . يوسف إدريس » وهو يقول :
 - (لا يمكن أن أكتب للصغار وأنا مثقل بمشاكل الكبار .. أتمنى أن تنتهي
 هذه المشاكل فأكتب للأطفال ، وهنا تتحقق واحدة من أكبر أمنياتي) .
 - وأين تضع اسم « يوسف إدريس » ؟ هل مع الروائيين ، أو مع كتاب
 القصة القصيرة ؟ .

- (أنا أرفض هذا التقسيم .. فالعمل الفني شيء أوسع وأعمق من أن يصنف
 هكذا ، إن الفكرة وحجمها وطريقة تناولها هي التي تفرض المساحة التي يجب أن
 تعرض فيها . والكتابة في تصويري هي رؤية الكاتب للعالم والكون . وهذه الرؤية
 هي التي تفرض شكل العمل .. فربما كان مسرحية أو رواية أو قصة قصيرة .. المهم
 أن يحقق الكاتب هدفه من خلال ما يكتب) .
 - وما هو هدف القصص « يوسف إدريس » الذي يسعى إليه من خلال
 ما يكتب ؟

- (هدفى دائماً هو تحريض الشخصية المصرية على القوة .. على التغلب على
 ما فيها من تناقضات وازدواجية ، هدفى هو تحريض المصرى على الثورة على القيود

التي فرضتها عليه رواسب الماضي . وأمنيتي أن أرى الإنسان المصري قد كسر الجانِب
العبودي من شخصيته ، وأصبح حراً في فكره وفي فهمه لمعطيات الحياة .. وطبعاً
العيوب الشخصية للفرد تنعكس على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والفكري
للمجتمع .

وهذه ليست دعوة لترك تراثنا وتاريخنا وتقاليدنا ، ولكنها دعوة لكسر القيود
التي تمنعنا من السير في ركب التطور الحضاري .

ويضيف « د. يوسف إدريس » . لقد حاولت أن أقتش من خلال أعلى
القصصية عن ملامح العالمية في شخصية الإنسان المصري .. وطبعاً لا يمكن أن نجد
هذه العالمية بعيداً عن الشخصية الإقليمية المتميزة بملامحها الإيجابية) .

وأخذنا الحديث عن سلبيات المجتمع وإيجابياته إلى الحديث عن المرأة ..
ونحس الدكتور « يوسف إدريس » وهو يتحدث عن المرأة المصرية وقال لي :
- برغم التعديلات التي تطرأ كل يوم على قانون الأحوال الشخصية في مصر ،
فإن المرأة في مصر مظلومة .. مشاكلها عديدة ، وليس هناك من يدافع عنها ، وأنا
لا أجد أكفاً من المرأة لتدافع عن المرأة .. وكما أتمنى أن أعيش اليوم الذي أرى فيه
تنظيماً نسائياً مصرياً قوياً يدافع عن حقوق المرأة ، ويحارب في سبيل تدعيم كيائها
الإنساني والقانوني .. لقد طالب « قاسم أمين » بتعليم المرأة وحرية عملها ،
ونجرت المرأة لمجالات العمل والتعليم ولكن سلاسل عديدة من التخلف الفكري
في المجتمع مازالت تشدها إلى الوراء وتعرقل مسيرتها . إن الاعتراف بالكيان
الإنساني والعاطفي والثقافي للمرأة يجب أن يكون هدفاً في المرحلة القادمة .

حب الريف .. يطاردني :

والدكتور « يوسف إدريس » نموذج للفنان الحقيقي .. فهو إنسان رقيق ..

صديق .. لا يحامل كثيراً .. وإذا اضطر للمجاملة فكلماته القليلة دائماً عذبة ..
قوية .. سألته عشرات الأسئلة في حوارى الذى امتد لأكثر من ثلاث ساعات .
وكانت إجاباته دائماً واضحة وصریحة وعنيفة .. أحسست بروح الثورة تجرى في
عروقه .. فهو شديد الانفعال والغيرة على أهله ووطنه وقوميته .. يرفض الكلمات
الخطية ، والأسماء الشائعة ، والتصنيفات والتقسيمات .. ، الحياة عنده أغنية
سريعة الإيقاع قليلة الكلمات .. تقفز فرحاً وأنت ترددها .. وليست موالا يغلبك
النعاس وأنت تستمع إليه .

سألت الفنان (الشرقاوى) « يوسف إدريس » عن تأثير نشأته الريفية على
إنتاجه الفنى فقال :

- إن عددًا كبيرًا من أعمالى خاصة فى مستهل حياتى كانت من الريف مثل
(الحرام) و (النداهة) إلا أن ابتعادى عن القرية فى السنوات الأخيرة جعلنى أهتم
بمشاكل المجتمع القاهرى أكثر .. والريف الآن ليس هو ريف الثلاثينات
والأربعينات ، إلا أن حنينى إلى الأرض الخضراء يطاردنى دائماً .

- هل أنت راض عن أعمالك التى تحولت إلى أفلام سينمائية وتليفزيونية ؟
- فى الحقيقة .. لا .. ولو أن هذا يفضب المخرجين ، إلا أنهم جميعاً فشلوا
حتى الآن فى التعبير عن روح القصة وأفكارها فى أفلامهم ، بل إن بعض هذه
الأعمال جاء هابطاً وساذجاً ولا يتصل من قريب أو من بعيد بما كتبت أنا ..
والمشكلة تكمن فى أن تحويل العمل الروائى إلى عمل سينمائى يقتضى عمل
سيناريو يتفق ومفاهيم المخرجين المصريين . وقد لا يتفق هذا ومفاهيم مؤلف
الرواية .

ويلمع اسم « الدكتور يوسف إدريس » فى السنوات الأخيرة بين كتاب المقال
الصحنى النقدى الساخر ، وبعد المسرحيات التسع ، والروايات السبع ،

والمجموعات القصصية التسع ، يأتي كتاب « يوسف إدريس » رقم ٢٦ ليضم مجموعة مقالات بعنوان (من مفكرة يوسف إدريس) ويؤكد أن الطبيب القصاص بدأ يلعب في هذا الفن الجديد . وأسأله عن هذا التحول فيقول :
- الرواية والقصة أدوات تأثير للمدى الطويل ، ولا يظهر تأثير مضامينها إلا بعد مدة طويلة أما المقال ، فتأثيره أسرع وأحياناً أجدى مضطراً لمحاربة واقع ما بشكل سريع .. ولأننا نواجه الآن العديد من المشاكل على كل المستويات وفي كل الاتجاهات ، فقد وجدت أن المقالة هي وسيلتي لأرفع صرخاتي وأصب ثورتي ، المهم أن تكون بعد هذا مؤثرة .

ووجدتني أستعيد مع « الدكتور يوسف إدريس » عشرات القضايا التي أثارها في مقالاته منذ أكثر من ستين . وكما كان مندهشاً سعيداً وأنا أذكره بمقاله عن غزو السلع الاستهلاكية المستوردة للسوق المصري ومنافستها للبضائع المحلية . والمقال الآخر الذي كتبه عن مشاكل الشباب المصري الذي يسافر إلى أوروبا للعمل صيفاً وغيرها وغيرها ..

الجائزة العالمية :

ويتسلم الدكتور « يوسف إدريس » رسالة من الولايات المتحدة ويقراً بسرعة الخطاب ويشرق وجهه بابتسامة ، وتلمع عيناه وهو يقول لي :
- اختارتني لجنة الجائزة العالمية للأدب التي تنظمها (جامعة أوكلاهوما الأمريكية) لأكون أحد الحكام لجائزة عام ١٩٨٠ وهيئة التحكيم تضم عشرة أعضاء يمثلون جنسيات ولغات مختلفة ، أما الجائزة فهي تعادل في قيمتها الأدبية جائزة نوبل .

وأجد فرحة « الدكتور يوسف إدريس » قد انتقلت إلي .. فهذا أديب مصري

يجلس بين أدياء العالم ليختار أديب عام ١٩٨٠ ويرفع علم مصر في أفق جديد من آفاق الفكر العلمى :

وبين مئات الكتب الموضوعه فى مكتبه أرى أعماله المترجمة ، ولا تساعدنى خبرتى باللغات التى ترجمت إليها أعمال « د . يوسف إدريس » فيقول لى :
- هذه أعمال كاملة لى ترجمت إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والروسية والأسبانية والبولندية والرومانية .

أما أعمالى ضمن مجموعات مترجمة فهى عديدة وكثيرة ، بعضها سمعت عنه ولم أحصل على نسخ منه .

.. ويرن جرس التليفون ويرفع « يوسف إدريس » السماعه وبنفس النبرات الهادئة الوديعه ، وبالكلمات المهذبة جدا والمختصرة جداً . يمضى حديثه . ولا ترتفع نبراته إلا إذا انطلق ضاحكاً .. فتحس أنه يضحك من قلبه .

ويمسح « يوسف إدريس » على شعره الفضى : برغم أعوامه الاثنتين والخمسين فقط وهو يقول لى وينفس الهدوء :

- التغيير .. كل حياتنا محتاجة لتغيير .. وجداننا محتاج إلى تغيير . يجب أن نبرأ من أمراضنا المتوارثة والمزمنة لننتقل ونلحق بالركب .. إن ما نحن عليه الآن من لامبالاة . عيب وحرام .

الفهرس

صفحة

٩	أرسطو
١٦	ابن سينا
٢٥	ابن خلدون
٣٦	روسو
٤٣	فولتير
٤٩	العقاد
٥٧	على محمود طه
٦٥	سيف وائل
٧٤	الحب
٨٣	الحكيم
١٨	الباقورى
٩٨	سهر القلماوى
١٠٣	رامى
١١٤	أحمد عبد المجيد

صفحة	
١٢٠ حسين بيكار
١٢٧ ملحت عاصم
١٣٤ صلاح طاهر
١٤٠ يوسف إدريس

١٩٨٢/٢٤٩١	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٠٢٨-X	الترقيم الدولي

١/٨١/١٤١

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

